مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

سلطنة ملقا الإسلامية (٨١٦هـ - ٩١٧هـ/١٤١٣م-١٥١١م):

دراسة في النشأة والأوضاع السياسية والتجارية

د. إبراهيم محمد حامد سليمان

أستاذ مساعد بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم – جامعة المنيا

DOI: 10.21608/qarts.2022.103519.1277

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – العدد ٥٤ (الجزء الأول) يناير ٢٠٢٢

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

سلطنة ملقا الإسلامية (٨١٦ هـ -٩١٧ هـ/١٤١٣م-١٥١١م): دراسة في النشأة والأوضاع السياسية والتجارية

إعداد

د. إبراهيم محمد حامد سليمان

أستاذ مساعد بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة المنيا

soliman.ibrahim@gmail.com

الملخص باللغة العربية:

تأتي هذه الدراسة لتلقي الضوء على واحدة من أهم مدن جنوب شرق آسيا وهي ملقا، التي استطاعت منذ نشأتها مع بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي أن تحتل مكان الصدارة في المنطقة. لقد تمكنت هذه المدينة الوليدة خلال سنوات قليلة من أن تبسط نفوذها في منطقة شبه جزيرة الملايو لتصبح سلطنة مترامية الأطراف يخضع لها العديد من المدن والجزر. والواقع أن تلك المكانة والأهمية التي نالتها ملقا تعود إلى عاملين أساسيين؛ الأول منهما هو تحول حكامها للإسلام لتصبح بقعة مضيئة ينتقل منها الإسلام إلى العديد من مدن ودول الملايو وساحل سومطرة الأندونيسي، ومما عزز من هذا الدور هو تشجيع هؤلاء السلاطين لنشر الدين والثقافة الإسلامية، وإشرافهم على هذا الأمر بأنفسهم. أما العامل الثاني فهو الدور المحوري الذي لعبته المدينة في حركة التجارة الإقليمية والدولية في المنطقة، وذلك بسبب تحكمها في مضيق ملقا، الذي يعد شريان الحياة للتجارة الرابطة بين دول ومدن المحيط الهندي من ناحية ودول جنوب شرق آسيا وبلاد الصين من ناحية أخرى، لذلك لم يكن مستغربا أن تصبح المدينة ملتقى للتجار القادمين إليها من شتى البقاع. كما جاءت هذه الدراسة كاشفة لمكانة ملقا في المشروع البرتغالي الصليبي، الهادف لتقويض شبكة التجارة الإسلامية في منطقة المحيط

الهندي، مبينا أن سقوط ملقا في أيدي هؤلاء الأوربيين حرم التجار المسلمين من أهم قواعدهم التجارية في المنطقة، كما أن هذا السقوط كان له أكبر الأثر في القضاء على وحدة دول الأرخبيل والملايو، وهو الدور الذي ظلت ملقا تلعبه لمدة تزيد عن قرن كامل.

الكلمات المفتاحية: ملقا؛ سلطنة؛ الاسلام؛ التجارة.

أولًا: المُقدِّمة:

مع بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي تأسست في شبه جزيرة الملايو مدينة سميت "ملقا"، وذلك علي يد أحد الأمراء السومطريين يدعى "بارامسفارا"، ورغم بداياتها المتواضعة بوصفها قرية ساحلية تعتمد في المقام الأول على الصيد، إلا أن ملقا- خلال سنوات قليلة- سرعان ما شهدت نهضة كبيرة تحت حكم هذه الأسرة، ونجحت في الصعود إلى صدارة المشهد في المنطقة، خاصة بعد أن اعتنق حكامها الدين الإسلامي وتحولت إلى سلطنة إسلامية.

ولعل العامل الأول في تلك النهضة والازدهار الذي شهدنه ملقا إنما يعود إلى التجارة، التي شكلت عوائدها المصدر الأكبر والأهم في ميزانية ودخل السلطنة، كما أنها نالت بها شهرتها الكبيرة بوصفها محطة رئيسة في شبكة التجارة الدولية في ذلك الوقت؛ فالموقع المتفرد والاستراتيجي الذي جعلها تتحكم في مضيق ملقا جعلها نقطة رئيسة على طريق التجارة البحرية الرابطة بين آسيا الغربية والشرق الأقصى، لتكون ملتقى للتجار من الشرق والغرب على السواء. وإلى جانب هذا الدور التجاري المميز، فإن ملقا كانت كذلك بمثابة الشعلة التي انتشر منها الإسلام وثقافته وقيمه في شتى مناطق شبه جزيرة الملايو والأرخبيل والساحل السومطري، بل وغيرها من المدن والجزر الواقعة في جنوب شرق آسيا، وهو الأمر الذي جعل أحد الباحثين يذكر: أنه ليس من المبالغة القول إن فترة سلطنة ملقا تمثل العصر الذهبي لتاريخ الملايو، كما أنه يعد معلما مهما في تاريخ تطور ماليزيا [١]. هذه الوضعية التجارية المميزة لملقا- بوصفها المركز والسوق التجاري الأهم في المنطقة- بالإضافة إلى مكانتها الدينية- بوصفها منارة الإسلام في المنطقة- جعل البرتغاليين- الراغبين في فرض هيمنتهم التجارية في المنطقة- يوجهون أنظارهم

تلقاء هذه المدينة لإخضاعها والسيطرة عليها، وهو الأمر الذي تحقق لهم عام ٩١٧هـ/١٥١١م.

في هذا السياق تأتي هذه الدراسة لتلقي مزيدا من الضوء على نشأة ووضعية ملقا منذ ظهورها في شبه جزيرة الملايو، ثم الحديث عن الروايات التاريخية المتعلقة بأسباب وتاريخ تحول حكام هذه المدينة للإسلام، والآثار التي ترتبت على هذا الأمر سواء فيما يخص المدينة نفسها أو المنطقة المحيطة بها. وفي محور آخر نتعرض للحديث عن اتساع نفوذ سلطنة ملقا وطبيعة العلاقات التي ربطت بينها وبين أهم القوى السياسية في المنطقة، كبلاد الصين وجاوة ومملكة سيام. وفي محور رابع نستعرض الأوضاع والأحوال الإدارية ونظام الحكم في ملقا، وذلك من خلال الحديث عن منصبي السلطنة والوزارة وأهم المسئوليات والمميزات التي تخصهما، بالإضافة لذكر القوانيين التي كانت تطبق داخل السلطنة. أما المحور الخامس فيخصص للحديث عن النهضة والازدهار التجاري لملقا، وذلك من خلال ذكر أهم الأسباب التي جعلت المدينة تتبوأ هذه المكانة، وأهم الجاليات التجارية المقيمة بها، ونوعية البضائع التي كانت تحمل من وإلى أسواق المدينة، فضلا عن ذكر نظام البيع والشراء والضرائب المفروضة على تلك التجارة. ويأتي المحور الأخير للحديث عن سقوط ملقا في يد البرتغاليين، مبينا الأهمية التي كانت تمثلها المدينة بالنسبة لهؤلاء الأوربيين، وأهم المحاولات التي قاموا بها من أجل السيطرة على المدينة، ثم وقوع المدينة في أيديهم، وموقف جنود ملقا وسلطانها في الدفاع عن مملكتهم، ثم أخيرا النتائج التي ترتبت على سقوط ملقا.

١. نشأة وتأسيس ملقا:

حقيقة الأمر، إن نشأة ملقا وبداية ظهورها أمر يكتنفه بعض الغموض، وهناك اختلاف وتباين في الآراء بخصوص هذا الأمر؛ وإن كانت معظم الآراء تميل إلى الاعتقاد بعدم ظهور المدينة قبل عام ٨٠٢-٨٠٣هـ/١٤٠٠م، معتمدين في ذلك على حقيقة مفادها أن الرحالة الإيطالي الشهير ماركو بولو- الذي عبر المضيق عام ٦٩١هـ/١٢٩٢م- لم يأت على ذكر هذا المكان. الأمر نفسه ينطبق كذلك على الرحالة أودوريك بوردنون *Odoric of Pordenone*، الذي مر بهذه المنطقة عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، وكذا بالنسبة للرحالة العربي ابن بطوطة، الذي كان في المنطقة عام ٧٤٦هـ/١٣٤٥م. وهو الأمر الذي يجعلنا نتشكك في وجود المدينة في تاريخ سابق لبدايات القرن ٩هـ/١٥م [٢]. ويبدو أن التاريخ الأكثر قربا وواقعية لهذه النشأة يعود للعام ٨٠٢هـ-٨٠٣هـ/١٤٠٠م، فلم يكن هناك أي ذكر لملقا في المصادر التي تسبق هذا التاريخ كما أوضحنا سلفا [٣]، وأول ذكر للمدينة في السجلات الملكية لأسرة مينج الصينية يعود إلى شهر ربيع الثاني ٨٠٦هـ/أكتوبر ١٤٠٣م، ففي هذا التوقيت كان الأمبراطور الجديد يونغ-لو Yung-Lo (٨٠٤هـ-٨٢٨هـ/١٤٠٢م-١٤٢٤م) يسمع لأول مرة عن وجود ملقا، وكان هذا الأمر بواسطة عدد من المبعوثين الهنود القادمين إلى بكين [٤].

واقع الأمر نحن نمتلك مصدرين يرويان الأسطورة الملايوية لأحد الأمراء الذي كان يحكم في بالمبنج *Palembang*، والذي اضطر لمغادرة سومطرة، ثم نجح أخيرا في تأسيس أسرة استطاعت أن تفرض سيطرتها على ملقا؛ المصدر الأول هو الرواية الملايوية المحلية الواردة في *Sejarah Melayu*، والمصدر الثاني هو كتاب *Suma Oriental* الذي ألفه البرتغالي تومي بيرس Tome Pires، الذي كان بملقا ما بين

عامي ٩١٨هـ/١٥١٢م و٩٢١هـ/١٥١٥م عقب سيطرة البرتغاليين على المدينة. وبالرغم من أن هذين المصدرين يختلفان في بعض التفاصيل، إلا أن جوهر ولب الأسطورة يبدو واحدا (٥).

فبحسب الرواية الملايوية المحلية، فإن أحد الأمراء الذي يرجع نسبه إلى الأسكندر الأكبر (يقصد به في الملايو الأسكندر ذو القرنين) ظهر على أحد تلال بالمبنج، وقد نشأ تحالف بين هذا الأمير وبين الرئيس المحلي للمنطقة، وبموجب هذا الاتفاق تعهد الأمير بأن يحكم هو وأفراد أسرته بالعدل بين الرعية، وفي المقابل يلتزم الرعايا بالوفاء والطاعة له ولأسرته. ثم بدأ حكم الأمير في بالمبنج واتخذ له لقبا *Sri Tri Buana*، ثم بعد فترة من الزمن بدأ هذا الأمير يبحث عن موقع آخر ملائم كي يؤسس عليه مدينة يتخذها مقرا له ولحكمه، وقد نجح بالفعل في الوصول إلى أحد الجزر التي قام بتسميتها سنغافورة *Singapore*، التي تعني "مدينة الأسد"، نظرا لأنه رأى في هذا المكان حيوانا اعتقد أنه أسد. وخلال فترة حكم أول ثلاثة أمراء من هذه الأسرة ظلت سنغافورة هي العاصمة والمدينة التجارية المزدهرة، لكن يبدو أن الأميرين الرابع والخامس بدأوا يحيدون عن العهد الذي كان قد قطعه على نفسه الأمير المؤسس *Buana*؛ فقاما بظلم الرعية وأساءوا معاملتهم. من ناحية أخرى، فإن سنغافورة في ذلك الوقت كانت قد تعرضت لهجوم شرس من قبل الجيش الجاوي، وهو الأمر الذي اضطر معه الحاكم إسكندر لترك المدينة والالتجاء إلى أماكن أخرى حتى انتهى به المطاف إلى مكان يسمى برتام *Bertam*، وقد أعجب إسكندر به وقرر الإقامة فيه، وقام بتسميته ملقا (٦).

أما رواية تومي بيرس المشابهة فتشير كذلك إلى أن أحد أمراء بالمبنج يسمى بارامسفارا *Parameswara* لم يرق له الخضوع لحكام جاوة، وبدأ المطالبة باستقلال بلاده، فما كان من الجاويين إلا أن قاموا بمهاجمة بالمبنج، فاضطر بارامسفارا إلى الهروب من المدينة مع حاشيته وأعوانه. ولما وصل هذا الأمير إلى سنغافورة قام بقتل الحاكم المحلي (الذي كان تابعا وخاضعا لمملكة سيام "تايلاند حاليا")، وأصبح هو المسيطر على المدينة. إلا أنه بعد مرور خمس سنوات، وعندما قام ملك سيام بمهاجمة بالمبنج، اضطر بارامسفارا إلى الهروب والاتجاه ناحية موار *Muar*، وتوجه عدد من أنصاره (عددهم حوالي ألف) إلى الشمال بالقرب من مصب نهر ملقا، وهناك اكتشفوا منطقة جذابة فوق النهر تسمى برتام. وقد نجحوا في اقناع بارامسفارا بنقل إقامته إلى هذا المكان، ثم أطلق هذا الأمير لاحقا على المكان اسم ملقا. وبالنسبة لبيرس، فإن هذه الحادثة قد وقعت عام ٨٠٢هـ-٨٠٣هـ/١٤٠٠م [٧].

وبحسب البرتغالي البوكيرك فإن اسم ملقا مشتق من كلمة تعني (لقاء أو يتقابل)، وذلك لأن هذه المدينة كانت ملتقى لأناس من جنسيات مختلفة، حيث كانوا يقيمون فيها لبعض الوقت [٨]. بينما يذكر المؤرخ البرتغالي تومي بيرس أن الأمير بارامسفارا الذي اضطر للهروب من سنغافورة والبحث عن مكان آخر، لما وصل إلى منطقة برتام اتخذها مقرا له وقام بتسميتها ملقا، والتي تعني الهارب أو اللاجيء الخفي [٩]. أما الرواية الملايوية المحلية فتقول إن الأمير إسكندر لما وصل إلى مكان المدينة أعجب بها وقرر أن يتخذها مقرا لإقامته، ولما كان آنذاك يقف تحت شجرة *Melaka* فقد قرر أن يسمي هذا المكان ملقا [١٠]. ووفقا للوثائق الصينية، فإن المنطقة التي

تأسست فيها ملقا كانت تعرف بداية باسم "الجزر الخمس"، وكانت تحت سلطة أحد الرؤساء الذي كان خاضعا لسلطة ملك سيام، وكان يقوم بدفع ضريبة سنوية له (١١).

٢. تحول ملقا لسلطنة إسلامية:

في الحقيقة هناك تضارب واختلاف في تحديد التاريخ الذي تحولت فيه ملقا للإسلام واسم حاكمها آنذاك، وإن كانت الروايات التاريخية ترجح أن يكون هذا الحدث قد تم عام ٨١٦هـ/١٤١٣م أو ٨١٧هـ/١٤١٤م (١٢). وفي حين أن الاسم الإسلامي "إسكندر" ينسب إلى باراميسفارا مؤسس ملقا، من قبل رواية *سيجارا ملايو*، فإن تومي بيرس يرى أن تحول المدينة للإسلام إنما وقع في عهد الحاكم الثاني، الذي يسميه ميجات إسكندر شاه (١٣).

أما بخصوص السبب في تحول حاكم ملقا للإسلام فإنه مجال تقاش واختلاف كذلك؛ فمن وجهة نظر تومي بيرس، فإن الحاكم الثاني لملقا كان مقتنعا بأن النجاح التجاري الكبير الذي حققته مدينة باساي المسلمة- المنافس التجاري الأول له في المنطقة- إنما يعود الفضل فيه للتجار الهنود المسلمين، الذين كانوا يرتادون بصفة مستمرة ميناء المدينة، وإليها حملوا الأقمشة والأنسجة الهندية الشهيرة، وهي منتجات كانت ذات قيمة كبيرة في ذلك الوقت. من هنا فقد عمل حاكم ملقا على اتخاذ الخطوات اللازمة لجذب هؤلاء التجار الهنود المسلمين إلى مدينته؛ فمنحهم الكثير من المميزات التجارية والاعفاءات الجمركية، كما أنه شيد لهم المساجد لتأدية شعائرهم، وقربهم منه في مجالسه. من ناحيتها فقد عملت السلطة المسلمة الحاكمة في باساي على انتهاز هذه الفرصة من أجل نشر الإسلام في ملقا؛ فقامت بإرسال عدد من الدعاة والمعلمين إلى ملقا، ويذكر البرتغاليان بيرس والبوكيرك أنه بتأثير من هؤلاء الدعاة- إلى جانب الدور

الذي لعبه التجار الهنود المسلمون- فإن حاكم ملقا أقدم على اعتناق الدين الإسلامي، وهو في عمر الثانية والسبعين، كما أنه تزوج من ابنة حاكم باساي [١٤].

من جانبها تشير رواية *سيجارا ملايو* إلى أن تحول حاكم ملقا للإسلام جاء نتيجة لرؤية رآها في منامه؛ فقد رأى هذا الحاكم النبي محمد ﷺ، وقد طلب منه الدخول في الإسلام، وأرشده للنطق بالشهادتين، واختار له اسم محمد. فضلا عن ذلك- تقول الرواية- إن النبي ﷺ أخبره بوصول سفينة قادمة من جدة إلى بلاده بها معلم وداعية، ولما استيقظ الحاكم من نومه اكتشف أنه قد ختن، وأنه قادر على النطق بشهادة التوحيد، كما أنه في ظهر هذا اليوم نفسه وصلت سفينة إلى المدينة بقيادة رجل دين قادم من جدة يسمى سيدي عبد العزيز، وقد نجح هؤلاء الوافدون في إقناع هذا الحاكم بتغيير عقيدته واعتناق الإسلام، ثم تبعه في إسلامه أهل مملكته، فأصبحت ملقا منذ تلك اللحظة سلطنة إسلامية [١٥].

مهما يكن من أمر، فإن الشيء الجدير بالملاحظة هو أن مهمة نشر الدين الإسلامي داخل ملقا قد قام بها وأشرف عليها حكام المدينة أنفسهم؛ فقد شجعوا السكان على اعتناق الدين الجديد، وقاموا بتشجيع العمل الدعوي وتدريس العلوم الشرعية في المؤسسات التعليمية، وسرعان ما أصبح الإسلام هو الدين الرسمي للسلطنة [١٦]. ومن باب الإسراع في أسلمة مملكتهم فقد قام هؤلاء الحكام كذلك بتشجيع زواج المسلمين بالسكان الوثنيين، خاصة في عهد حكم السلطان منصور شاه، كما أن ارتداد السكان عن الإسلام كان ممنوعا، ومن يقدم على ذلك كانت تطبق عليه أحكام الشريعة الإسلامية، هذا فضلا عن أن اعتناق الإسلام كان شرطا أساسيا لمن أراد أن يتبوأ المناصب المهمة داخل بلاط هؤلاء السلاطين [١٧]. وقد لاحظ ماهوان Ma Huan- الذي أرخ لرحلات القائد البحري الصيني تشنغ هي Zheng He- أن سلطان ملقا

ورعيته كانوا ملتزمين بدينهم الجديد- بعد اعتناقهم الإسلام-، وأنهم كانوا يحافظون على تأدية شعائره كالصلاة والصوم، وتطبيق الشريعة الإسلامية في معاملاتهم [١٨]. كما أن الرحالة فارتيما- الذي زار المدينة مع بداية القرن ١٠هـ/١٦م- يؤكد على أن الدين الإسلامي كان هو الديانة الرسمية للسلطان ولكل سكان المدينة [١٩].

ويمكن القول إن الفترة الأكثر ازدهارا للإسلام ومؤسساته داخل ملقا كانت على عهد السلطان منصور شاه؛ فإلى جانب ما تم ذكره آنفا من تشجيعه لزواج المسلمين بالوثنيين، فإنه قام بتشييد مسجد كبير في المدينة، كما أنه تجهز للخروج إلى مكة لآداء فريضة الحج، بيد أنه أدركه الموت قبل أن ينجز تلك الرحلة المقدسة [٢٠]. كما قام منصور شاه بجهود بارزة في رعاية العلوم والثقافة الإسلامية داخل سلطنته؛ من ذلك قيامه بإعداد ترجمات وشروح للكتب الإسلامية من لغات مختلفة، التي أشرف عليها بعض من كبار العلماء، وذلك العمل لا شك أفاد شعب الملايو في فهم واستيعاب تلك المصنفات، كما أنه كان له دور كبير في انتشار الإسلام في البلاد [٢١]. ويقال كذلك إن هذا السلطان كانت له مكتبة ضخمة تضم كثيرا من الكتب المتعلقة بالشرع والثقافة الإسلامية، بيد أن هذه المكتبة التهمتها النيران أثناء حريق شب في القصر [٢٢]. أما ابن منصور شاه السلطان علاء الدين رعاية شاه فإنه اعتنى كثيرا بشئون هذا المسجد، وعزم مثل والده على الذهاب إلى مكة في موسم الحج، إلا أن الظروف كذلك حالت بينه وبين تحقيق هذه الأمنية وتحقيقها على أرض الواقع [٢٣].

والواقع أنه بعد تحول ملقا للإسلام، فإن هيبة ومكانة حكامها بدأت في ازدياد، خاصة وأنهم قد أصبحوا يشكلون جزءا مهما من نسيج العالم الإسلامي المحيط بهم، كما مكنهم هذا الأمر من الدخول في علاقات وثيقة مع معظم الحكام المجاورين لهم. فضلا عن ذلك فإنه باعتناق هؤلاء الحكام للإسلام وجدنا سفارات عديدة بدأت تفد إلى البلاط

الملكي قادمة من عدن وهرمز وكمباي والبنغال، وقد كانت هناك احتفالات ومراسم كبيرة تصاحب وصول هذه السفارات [٢٤]. وتذكر لنا المصادر أن مظفر شاه لما نجح في السيطرة على كامبار واندراجيري، وبعد تحول هذه المناطق للإسلام، لقي هذا الأمر إشادة ومدحا كبيرا من قبل الحكام المسلمين في هرمز وعدن وكمباي، الذين أرسلوا سفراءهم بالرسائل والهدايا إلى مظفر شاه للتهنئة، ملقبين إياه بالسلطان، وكان من قبل يحمل لقب راجا [٢٥]. جدير بالذكر أن دخول حكام ملقا في الإسلام أدى إلى ازدهار تجاري غير مسبوق للمدينة؛ التي أصبحت من الآن فصاعدا وجهة مفضلة للتجار المسلمين القادمين من شتى المناطق والبلدان، وهو الأمر الذي جعل ميناء المدينة ميناء تجاريا عالميا [٢٦]. وفي الوقت نفسه فإن النفوذ السياسي والنهضة التجارية الكبيرة التي أصبحت عليها ملقا آنذاك قد ساهم كثيرا في وصول الإسلام للعديد من المدن والدول المجاورة [٢٧].

مهما يكن من أمر، فإنه منذ النصف الثاني من القرن ٩هـ/١٥م، أصبحت ملقا تمثل المركز الإسلامي الرئيس لنشر الإسلام في الأرخبيل الماليزي- الأندونيسي [٢٨]، وهو الدور الذي كانت تلعبه سابقا مدينتا سامودرا-باساي وترنغانو، كما أنها لعبت دورا مهما في نشر وترسيخ الثقافة والقيم الإسلامية في جنوب شرق آسيا [٢٩]. وقد عمل سلاطين المدينة على جذب العلماء إلى مدينتهم، وشملوهم برعايتهم، وكانوا يستمعون لنصائحهم في كل ما يعود بالمنفعة على البلاد. وقد تمكن هؤلاء العلماء- إلى جانب وضعيتهم الاجتماعية المميزة- من الحصول على مبالغ مالية كبيرة، وذلك نظير إشرافهم على تعليم الطلاب داخل ملقا [٣٠]. ويمكننا القول كذلك إنه بعد دخول حكام ملقا في الإسلام بدأت اللغة العربية تشهد انتشارا واسعا في المدينة وفي منطقة الملايو بصفة عامة، ولا شك أن الحكام قد لعبوا دورا كبيرا في هذا الأمر، وذلك بتشجيع رعاياهم على

تعلم اللغة العربية. والواقع أن اللغة العربية آنذاك لم يقتصر دورها على آداء الشعائر الإسلامية– وفي مقدمتها الصلاة وتلاوة القرأن– وإنما لعبت كذلك دورا في الحياة السياسية والعلمية والثقافية داخل ملقا. جدير بالذكر أن الحروف العربية كانت قد انتقلت إلى الكتابة الملايوية، كما أن المفردات العربية أصبحت تشكل جزءا رئيسا في تلك اللغة(٣١).

من ناحية أخرى فإن ظهور ملقا الإسلامية قد تسبب في إضعاف عام للنفوذ الهندوسي والبوذي من الناحية السياسية والاجتماعية والثقافية في شبه جزيرة الملايو الذي استمر لفترة طويلة من الزمن؛ فقد بدأت تنتشر القيم الإسلامية الجديدة– كالعدل والمساواة والشورى– وأخذت المفاهيم والتعاليم البوذية والهندوسية في الإنزواء (٣٢). ومما يدل على رسوخ وتجذر تعاليم الدين الإسلامي في ملقا، هو ما أبداه السكان تجاه البرتغاليين بعد احتلالهم للمدينة ومحاولتهم نشر المسيحية فيها؛ فقد تمسك الأهالي بالإسلام وتصدوا لهذا الأمر بكل قوة وحزم، بل وزادهم هذا العدوان تمسكا بدينهم (٣٣). وفي المجمل، يمكننا القول إن الدور الذي لعبته ملقا في نشر الإسلام في منطقة الأرخبيل وفي جنوب الفلبين وفي برنيو وجاوة وجزر الملوك– وذلك من خلال إرسال علمائها ودعاتها لنشر الإسلام في تلك المناطق– لا يقل أهمية عن الدور المحوري الذي لعبته المدينة في تجارة المنطقة في ذلك الوقت (٣٤).

٣. تساع نفوذ سلطنة ملقا وعلاقاتها مع القوى الخارجية:

مع بداية ظهور ملقا، وتحديدا في عهد حاكمها الثاني، كانت حدود تلك المدينة تشمل الأراضي الواقعة بين كوالا لينجي *Kuala Linggi* وكوالا كسانج *Kuala Kesang* (وهو ما يعني الحدود الشمالية والجنوبية لولاية ملقا الماليزية في العصر

الحالي)، إلا أنه منذ منتصف القرن ٩هـ/١٥م بدأت حدود سلطنة ملقا في الاتساع بوتيرة متسارعة. ورغم العداء المستمر من قبل ملك سيام تجاه أراضيه، إلا أنه في فترة حكم السلطان مظفر شاه تمكنت ملقا من أن تمدد نفوذها وتوسعاتها، كما قام هذا السلطان بتوجيه عدة حملات عسكرية تجاه هؤلاء الأعداء، ونجح في الانتصار عليهم (٣٥). ولعل أشهر هذه الحملات هي تلك التي قادها البندهارا *Bendahara*- الوزير الأول- تون براك باتجاه باهانج؛ فقد حققت تلك الحملة نجاحا كبيرا، وتمكن براك من خلع حاكم هذه المدينة مهراجا ديفا سورا *Diva Sura* من منصبه، خاصة وأن هذا الحاكم كان خاضعا وتابعا لمملكة سيام العدو الأول لملقا، ثم قام براك بوضع أمير من ملقا على كرسي الحكم. وكان هذا الأمر بمثابة رد قاس على ما كانت تقوم به سيام من هجمات متعددة ضد ملقا (٣٦).

وبعد أن أمن جانب السياميين، من خلال معاهدة الصلح التي عقدها معهم، بدأ السلطان مظفر شاه يعمل جاهدا على بسط سيطرته على المناطق المجاورة، حتى وصل شمالا إلى سلانجور *Selangor*، وجنوبا إلى سنغافوره، وغربا إلى باهانج، وفي كل تلك المناطق الجديدة كان مظفر شاه يطلب من حكامها الاعتراف بسلطته، والدخول في الدين الإسلامي (٣٧). من ناحية أخرى، نجح السلطان مظفر شاه كذلك في الانتصار على حكام كامبار *Kampar* واندراجيري *Indragiri*- الواقعتين على الساحل الشرقي لسومطرة- ودفعهم إلى اعتناق الإسلام. هذا الأمر مكن سلطان ملقا من بسط سيطرته على الفلفل والذهب القادم من مناطق سومطرة الداخلية (٣٨). وتقديرا للجهود العظيمة التي قام بها هذا السلطان فإن حوليات الملايو تصفه بالبطل الشجاع، الذي استطاع من خلال حملاته العديدة الانتصار على سيام وباهانج وباساي، كما أن هناك بعض المؤلفات تصفه بصاحب العقلية التوسعية، وهي سياسة مكنت ملقا من فرض نفوذها

على الممتلكات الملاوية والسومطرية [٣٩]. بعد وفاة مظفر شاه، تمكن ابنه السلطان منصور شاه من بسط سيادته على بيراك *Perak*، بعدما نجح في تحقيق الانتصار على كداه *Kedah* حليف سيام، كما أنه عزز من سيطرته على طول الساحل الشرقي لسومطرة، وذلك على حساب امبراطورية باساي [٤٠]. والواقع أن فترة حكم السلطان منصور شاه تمثل العصر الذهبي لملقا من الناحية السياسية والتجارية، كما أن المدينة أصبحت آنذاك المركز الرئيس لنشر الإسلام في المنطقة كلها [٤١].

أما خلال حكم السلطان علاء الدين، فإن كل أرخبيل ريو لينجا *Riau-Lingga* أصبح جزءا من سلطنة ملقا، هذا بالإضافة إلى أن هذا السلطان نجح في المحافظة على جميع مناطق ومدن امبراطوريته، التي نجح سابقوه في إدخالها ضمن حدود سلطنتهم [٤٢]. بوصوله إلى كرسي العرش، حاول آخر حكام ملقا السلطان محمود شاه السير على خطى أسلافه، فأخرج عدة حملات عسكرية ضد السياميين والبوذيين، كما أنه قام بمهاجمة كلنتان *Kelantan*، الواقعة في شمال شبه جزيرة الملايو، والتي كانت خاضعة لسيام. وفي عام ٩٠٢هـ/١٤٩٧م، توغل جيش ملقا شمالا حتى وصل إلى ليجور *Ligor* [٤٣]. وفي المجمل، كانت تلك المدن والجزر الخاضعة لنفوذ سلطنة ملقا تمثل لها أهمية من الدرجة الأولى، سواء من الناحية التجارية أو من الناحية العسكرية؛ فعلى سبيل المثال، كانت ريو داراتان *Riau Daratan*، إلى جانب الجزر العديدة لأرخبيل ريو لينجا، بمثابة المصدر الأساسي الذي اعتمدت عليه ملقا في تكوين قوتها البحرية. بينما وفرت بورجيم *Purjim* لملقا ما تحتاجه من "مجاديف". أما تونجكال *Tongkal* فأمدت المدينة بالذهب، إلى جانب رجال ماهرين في الملاحة البحرية. في الوقت الذي كان فيه رجال اورانج لاوت *Orang Laut* هم المقاتلون الأشداء الذين يتكون منهم عماد الجيش الملقي [٤٤].

مهما يكن من أمر، فإن الرقعة التوسعية الكبيرة التي نجحت في تحقيقها ملقا كانت أمرا غير معهود فيما قبل القرن ٩هـ/١٥م؛ فلم يحدث أن ظهرت في شبه جزيرة الملايو مملكة مثل ملقا كانت قادرة على بسط نفوذها في شبه الجزيرة بأكملها، بل ومد سيطرتها على أجزاء كثيرة من الساحل الشرقي لجزيرة سومطرة (٤٥).

أما بالنسبة للعلاقات التي ربطت بين ملقا والقوى الخارجية فتعد بلاد الصين من أوائل البلدان التي توجهت إليها أنظار حكام ملقا للدخول مع أباطرتها في علاقات ود وصداقة، ولا شك أن الاختيار يبدو منطقيا في ظل حقيقة مفادها أن الصين آنذاك كانت تعد أعظم قوة أسيوية على الإطلاق، سواء من الناحية العسكرية أو التجارية (٤٦). كما أنه كانت هناك رغبة كبيرة لدى الامبراطور الصيني يونغ-لو للدخول في علاقات صداقة مع ملقا- ومدن وبلدان جنوب شرق آسيا بصفة عامة- من أجل ضمان التفوق التجاري لبلاده في المنطقة، خاصة وأن ملقا كانت تمثل نقطة استرتيجية- لا غنى عنها- لاستقبال أساطيله المتوجهة إلى عالم المحيط الهندي والشرق الأوسط (٤٧).

جدير بالذكر أنه خلال الفترة من عام ٨٠٦هـ/١٤٠٤م وحتى عام ٨٣٨هـ/١٤٣٥م، توجهت من ملقا إلى البلاط الصيني عشرون بعثة وسفارة، وفي مرات عديدة كان السلطان نفسه يترأس تلك البعثات، وهو الأمر الذي أثار إعجاب الإمبراطور الصيني؛ ففي عام ٨١٤هـ/١٤١١م وصل سلطان ملقا إلى البلاط الصيني، وقد استقبله الامبراطور يونغ-لو بحفاوة كبيرة، وقام كذلك بمنحه سفن حربية من أجل حماية مدينته ضد أي اعتداء بحري (٤٨). كما أنه بعد وفاة إسكندر شاه، قام ابنه ووريثه محمد شاه- الذي لقب بسري مهراجا- بزيارة البلاط الصيني، ليحصل من الامبراطور على اعتراف بحكمه، وقد ظهر حاكم ملقا في السجلات الصينية التي أرخت لتلك الزيارة باسم *Si-la Ma-ha-la*. كما أن الخوف من ملك سيام جعل سري مهراجا يرسل سفارات منتظمة

إلى البلاط الصيني طوال فترة حكمه [٤٩]. علما بأن بعض الروايات البرتغالية تشير إلى قيام هذا الحاكم بالزواج من ابنة أحد القادة الصينيين، ولا شك أن مثل هذه المصاهرات – التي تعددت لاحقا– قد لعبت دورا مهما في تعزيز علاقة حكام ملقا بالصينيين [٥٠]. في المقابل، كان بلاط سلطان ملقا يستقبل أحيانا بعض الوفود القادمة من الامبراطور الصيني، كما حدث عام ٨٠٦هـ/١٤٠٤م و٨١٠هـ/١٤٠٨م [٥١]. والواقع أن تلك السفارات الأولى التي أرسلها حكام ملقا إلى بكين كان الهدف الأساسي منها تثبيت دعائم حكمهم داخل مدينتهم الجديدة، وقد أتت هذه الخطوات بثمارها؛ فقد اعترف الامبراطور الصيني بهم ملوكا وحكاما على ملقا [٥٢].

من جانب آخر، كان وصول الأسطول الصيني إلى ملقا بقيادة القائد الصيني المسلم تشنغ هي– عام ٨١٢هـ/١٤٠٩م– عاملا مهما في تعزيز العلاقات بين ملقا والصين. علما بأنه خلال الفترة من ٨٠٧هـ/١٤٠٥م وحتى ٨٣٦هـ/١٤٣٣م، كان تشنغ هي قد قام بسبع رحلات بحرية بأسطوله نحو بحار الشرق، زار خلالها ملقا والعديد من المدن والدول الواقعة على سواحل المحيط الهندي [٥٣]. والواقع أن تلك الحملات كانت مختلفة في طابعها عن تلك التي قام بها البرتغاليون لاحقا، فبدلا من نشر وبث الرعب بين السكان، وبدلا من تعطيل حركة التجارة ومحاولة إقامة القلاع والحصون كما كان يفعل البرتغاليون، انخرط الأسطول الصيني في سلسلة منتظمة من البعثات الدبلوماسية التي كانت تتبادل الهدايا والرسائل مع الملوك والسلاطين. وقد وجدنا هذا التسامح الصيني أكثر وضوحا في العلاقة مع ملقا؛ فرغم أن المدينة كانت تمثل أهمية كبيرة للصينيين، سواء من حيث موقعها الجغرافي المميز وكذلك من حيث أهميتها التجارية، إلا أن الأسطول الصيني– رغم قوته الكبيرة مقارنة بإمكانات ملقا العسكرية– لم يحاول أن يستولى على المدينة ويخضعها بالكامل لسيطرته، وإنما اكتفى بأن يتخذ منها قاعدة

مؤقتة خلال الرحلات التي كان يقوم بها نحو بحار الشرق [٥٤]. وربما لن نتجاوز الحقيقة إذا ما قلنا إن هذه المعاملة الطيبة من قبل الأسطول الصيني- القوة البحرية الأهم في المنطقة- هو الذي سمح لمؤسس ملقا بتطوير مدينته، وتعزيز مكانتها التجارية في سلام وأمان [٥٥]. كما أن وجود الأسطول الصيني، وحمايته للمدينة بوصفها قاعدته البحرية، كان رادعا لكل من السياميين والجاويين، الذين كانت لهم أطماع في بسط نفوذهم على ملقا [٥٦].

ومن أجل الحصول على حماية ورعاية أباطرة الصين، لم يخل الأمر بطبيعة الحال من إعلان سلطان ملقا ولائه الكامل لهؤلاء الأباطرة، والقيام بإرسال ضريبة سنوية إلى البلاط الصيني. من ناحيتهم، فإن حكام الصين رأوا أن هذا الأمر يحقق لهم كثيرا من الفوائد؛ فإلى جانب تلك الضريبة المالية التي كانت تدخل خزائنهم، فإن ملقا أصبحت بالنسبة لأسطولهم التجاري نقطة وقاعدة رئيسة أثناء إبحاره باتجاه المحيط الهندي [٥٧]. وبالرغم من أن السلطات الصينية بدأت منذ عام ٨٣٧هـ/١٤٣٤م تنكفيء على أمورها الداخلية، وتتخلى عن سياستها التوسعية فيما وراء البحار، إلا أن الجنوك التجارية الصينية استمرت في زيارتها لميناء ملقا [٥٨]. كما أن ملقا في ذلك الوقت كانت قد نجحت في تثبيت أقدامها كقوة بحرية مستقلة، تستطيع الاعتماد على نفسها [٥٩].

والواقع أن تلك العلاقات والروابط السياسية والتجارية المميزة هي التي جعلت سلاطين ملقا المتعاقبين، مظفر شاه ومنصور شاه ومحمود شاه، يداومون على إرسال مبعوثيهم إلى البلاط الصيني طلبا لرضى ودعم هؤلاء الحكام [٦٠]. ورغم توتر العلاقات بين الطرفين مع بدايات حكم مظفر شاه- نتيجة لقيامه بالانقلاب على أخيه راجا إبراهيم وأخذ الحكم منه-، إلا أن العلاقات سرعان ما استأنفت مرة أخرى عام ٨٦٠هـ/١٤٥٦م، وقام الامبراطور الصيني في هذا العام نفسه بمنح مظفر شاه لقب "سلطان" تقديرا

لأهميته وأهمية بلاده. كما أنه قام في هذه المناسبة بإرسال قلنسوة من الجلد، وملابس من الحرير، وحزام مزين ومزخرف إلى سلطان ملقا، كتأكيد على اعترافه بحكمه (٦١). كما أن العلاقة بين الجانبين توطدت أكثر فأكثر بعد زواج السلطان منصور شاه من الأميرة الصينية هانغ لي بو Hang Li Po، التي اعتنقت الإسلام، وقد كان وصول هذه الأميرة إلى المدينة برفقة خمسمائة من الفتيات الصينيات اللاتي تحولن كذلك إلى الإسلام. ومنذ إتمام هذه الزواج الملكي بدأت الجالية الصينية يزداد وجودها داخل المدينة. كما أن هناك إشارات إلى دخول التجار الصينيين في مصاهرات مع سكان ملقا، مما عزز من مكانتهم داخل المجتمع. والواقع أن هذا الزواج نتج عنه ظهور جيل جديد من المولدين عرف داخل المجتمع باسم البيرانكان الصينيين *Chinese Peranakan* أو بابا ونيونيا *Baba and Nyonya* (٦٢). من هذا المنطلق، ونتيجة لهذه العلاقات الودية التي ربطت بين الجانبين، لم يكن مستغربا- مع وصول البرتغاليين إلى سواحل ملقا- أن يلجأ السلطان محمود بداية لأمبراطور الصين، من أجل مساعدته في مواجهة هذا الخطر الأوربي (٦٣).

ارتبطت ملقا كذلك بعلاقات دبلوماسية مع جيرانها الأقوياء: المملكة السيامية في أيوديا *Ayudhya*، وماجاباهيت في جاوة. وكانت أيوديا- التي تأسست عام ٧٥١هـ/١٣٥١م- مستمرة في المطالبة بالسلطة والنفوذ على شبه جزيرة الملايو بأكملها- خاصة وأن سيام أصبحت بالفعل آنذاك قوة عظمى في منطقة الهند-الصينية، بعد أن قامت بغزو بورما ولاوس وكمبوديا-، وقد ظلت تلك المطالبات مستمرة حتى سقوط ملقا في أيدي البرتغاليين عام ٩١٧هـ/١٥١١م. من ناحية أخرى، فإن ماجاباهيت كانت مملكة لها ثقل سياسي وعسكري في المنطقة، وقد نجحت في بسط بعض النفوذ في الجزء الجنوبي من شبه جزيرة الملايو (٦٤).

وفي محاولة منهم لعدم الدخول في صدامات مع تلك القوى، آثر حكام ملقا- حتى نهاية القرن ٩هـ/١٥م- الاعتراف بالتبعية الاسمية فحسب لحكام سيام، وفي مقابل هذا الاعتراف استطاعت ملقا التزود بما تحتاجه من الحبوب والسلع، بالإضافة إلى امتيازات تجارية ذات قيمة كبيرة [٦٥]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن العلاقات الدبلوماسية الطيبة التي ربطت بين الجانبين- والتي وصلت إلى حد الدخول في مصاهرات[٦٦]- سرعان ما تبدلت؛ فقام حكام سيام بقطع تلك العلاقات بشكل مفاجيء، ورفضوا حتى إرسال السفراء، ثم بدأت مرحلة العداء العسكري بين الطرفين [٦٧]. وقد تصدت السلطات بملقا في عديد المرات للمحاولات السيامية الهادفة إلى إخضاع المدينة فعليا لسيطرتهم والاستحواذ عليها، كما حدث في أعوام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م، ٨٢٢هـ/١٤١٩م و٨٣٤هـ/١٤٣١م، وذلك من خلال التواصل مع الامبراطور الصيني- الحليف الأقوى لملقا-، وقد استجاب هذا الأخير لتلك النداءات، وأصدر أوامره لحكام سيام بالتوقف عن تهديد ملقا. وبناء على ذلك فقد استمرت العلاقة ما بين الطرفين طوال النصف الأول من القرن ٩هـ/١٥م تدور حول الاعتراف الاسمي دون الخضوع الفعلي [٦٨].

مهما يكن من أمر، فإن النهضة الكبيرة التي أصبحت تعيشها ملقا منذ منتصف القرن ٩هـ/١٥م منحها من القوة ما يكفي أن تدافع عن نفسها ضد الهجمات السيامية، وكذلك التوقف عن حمل ضريبة الولاء والطاعة لمملكة سيام [٦٩]. من جهة أخرى، كان سلاطين ملقا يرون في "الإسلام" وانتشاره في المنطقة أداة سياسية ذات قيمة كبيرة؛ فهذا الدين سيؤدي إلى تجمع مدن ودول المنطقة تحت راية واحدة، وهو ما يعني إقامة تحالف إسلامي قوي بين دول شبه جزيرة الملايو والساحل الشرقي لسومطرة- تكون ملقا في مقدمته- للوقوف في وجه أطماع واعتداءات دولة سيام البوذية [٧٠].

أما العلاقة مع ماجاباهيت فقد كانت أكثر قوة وتميزا، وقد ساعد على ذلك البعثات والرسائل الودية الكثيرة المتبادلة ما بين الطرفين، إلى جانب المصاهرات التي تمت بين البيتين الحاكمين. هذا الأمر كان له دور كبير في تحقيق كثير من الفوائد التجارية بالنسبة للطرفين. كما أن ملقا استطاعت من خلال تلك العلاقات أن تؤمن حصولها على الكميات التي تحتاجها من الأرز الجاوي، خاصة وأن ملقا كانت تعاني نقصا شديدا في هذا المحصول المهم لمعيشة سكانها (٧١). جدير بالذكر أن ملقا استفادت كثيرا من التدهور الذي بدأ يلحق بمملكة ماجاباهيت خلال القرن ٩هـ/١٥م؛ فنجحت في أن تفرض سيطرتها على المراكز المهمة داخل شبه جزيرة الملايو والساحل الشمالي الشرقي لسومطرة، وهو الأمر الذي ضمن لها السيطرة على جميع التجارة التي كانت تمر عبر مضيق ملقا (٧٢).

وقد دخلت سلطنة ملقا كذلك في علاقات دبلوماسية مع ريوكيو؛ فإحدى الوثائق التي تعود إلى عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م تشير إلى وصول مبعوث قادم من ريوكيو يسمى كامادو مع ١٥٠ فردا آخرين، وكان هؤلاء المبعوثون لديهم أوامر من حاكمهم بعقد وثيقة صداقة مع سلطان ملقا، بالإضافة إلى أنهم كانوا مكلفين بحمل كميات من البضائع الشهيرة لملقا، وفي مقدمتها الفلفل والأخشاب (٧٣).

وفي هذا السياق تجدر الإشارة إلى أن جزءا مهما من النجاحات الدبلوماسية التي حققتها ملقا آنذاك إنما تعود إلى الكفاءة والمهارة التي تميز بها المبعوثون المرسلون إلى بلاط حكام الدول المختلفة؛ فقد كان سلاطين ملقا حريصين على دقة اختيار هؤلاء المبعوثين، "وذلك لأن حسن اختيار مبعوث الحكومة هو انعكاس لنجاح وحكمة السلطة"، كما أن فشل المبعوث في إنجاز مهمته يعني جلب العار لنفسه ولحكومته ولسمعة السلطان (٧٤). وفي الغالب، كان المبعوث المرسل واحدا من أفراد عائلة نبيلة

في القصر الملكي، وهذه العلاقة الوثيقة مع القصر كانت بلا شك تدفع المبعوث ليعمل بجد واجتهاد من أجل تحقيق أهداف السلطة بملقا. وتشير الرواية الملايوية "*سيجارا ملايو*" إلى أسماء عدد من المبعوثين الذين تم إرسالهم من ملقا إلى دول أجنبية من أجل إقامة علاقات دبلوماسية خلال عهد السلطان منصور شاه، ومن هؤلاء: سري بيجا بيكراما وتون سورا ديراجا، اللذان كانا مرسلين إلى سولاويزي *Sulawesi (Mengksar)*، وهناك كذلك تون تيلاناي ومنشري جانا بوترا، اللذان أرسلا إلى ملك سيام، وبيجا سورا وهانج تواه المرسلان إلى ماجاباهيت، وأخيرا تون بيرباتيه بوتيه الذي توجه إلى بلاط الامبراطور الصيني [٧٥].

٤. نظام الحكم والإدارة في ملقا: السلطان ووزراؤه:

تبلور وتشكل التنظيم الإداري لملقا خلال حكم السلطان محمد شاه- أول من اعتنق الدين الإسلامي-، وقد استندت معظم تلك التنظيمات التي شرعها على مثيلاتها الموجودة في الولايات الهندية والملايوية، مثل جاوة وكمبوديا وسيام. وبصفة عامة، اتسم النظام الإداري في سلطنة ملقا بالنظام الدقيق، وكان محددا بشكل جيد وذا نظام هرمي؛ فعلى رأس هذا الهرم يأتي الحاكم (السلطان)، الذي كان يرتبط بولاء وإخلاص لمملكته لا يرقى إليهما الشك من جانب رعيته [٧٦]. وإلى جانب السلطان، كانت هناك هيئة مساعدة من كبار القادة والمسئولين العسكريين والمدنيين، الذين كانوا يختارون من النبلاء (علية القوم)، وهي فئة كانت تتمتع بكثير من المزايا، وتنعم بحياة مريحة [٧٧].

حقيقة الأمر، إن المكانة المميزة التي تبوأتها ملقا في ذلك الوقت لا يعود الفضل فيها فقط للغني والثراء الذي كانت عليه المدينة بفضل تجارتها المزدهرة، وإنما هناك دور كذلك للتطور الفكري والثقافي داخل بلاط الحكم، وواحدة من أهم عناصر تلك الثقافة

كانت تتعلق بمفهوم الحكم، الذي عزز من وضع السلالة المالكة نفسها وساعد على تطور المدينة ونموها [٧٨]. وبصفته راعي ونصير الإسلام في المنطقة، فإن حاكم ملقا تمكن من أن يتحصل على لقب سلطان، ووضع نفسه في المستوى نفسه الذي كان عليه سلاطين الشرق الإسلامي وبلاد الهند، كما أنه– كما كان متبعا في التقاليد الفارسية– ادعى أن نسبه وأصوله تعود إلى الاسكندر الأكبر. والقادمون إلى المدينة من مناطق إسلامية مختلفة أقروا واعترفوا للحاكم بأحقيته وجدارته بالسلطنة، خاصة وأنهم قد شعروا بالإطمئنان لأنهم يتعاملون مع حاكم يحترم الشريعة والقيم الإسلامية، ويحمي أخوته من المسلمين [٧٩]. من ناحية أخرى، فإن هناك عملات معدنية قد سكت في ملقا، وهي تعود إلى القرن ٩هـ/١٥م، وقد حملت هذه العملات الألقاب الجديدة للسلطان، كما أنها استخدمت عبارات عربية تصف الحاكم بأنه "نصير الدين" [٨٠].

وقد كان القانون الملايوي آنذاك ينص على وجوب ولاء وإخلاص الرعية للسلطان، وفي المقابل كان واجبا على السلطان أن يعامل رعاياه بالكرم والإنصاف والرحمة. كما أنه كزعيم وقائد، كان على السلطان أن يتحلى بصفات الشجاعة والجرأة. والكتابات الأدبية المحلية دائما ما تظهر هذا الحاكم بوسامة وجمال لا يضاهى، مرتديا أجمل وأرقى الثياب، محاطا بنساء رائعات وفي مقدمتهن زوجة السلطان، كما أنه كان محاطا بحرس من الشباب الشجعان والأذكياء [٨١].

على أية حال، فإنه بالرغم من الهيبة والمكانة الكبيرة التي كان عليها سلاطين ملقا، إلا أن هناك ضوابط وقيود كانت تتخذ ضد أي خروج عن القواعد أو ممارسة تعسف من قبل هؤلاء الحكام. من ناحية أخرى فإن جميع القرارات التي تخص المدينة ومصالحها كانت تتخذ بناء على قاعدة الحوار والمناقشة بين السلطان ووزرائه وكبار رجال الدولة [٨٢].

والوزراء كانوا مسئولين عن تصريف جميع الأعمال داخل السلطنة، لذلك فإنهم كانوا يتمتعون بقوة ونفوذ كبير. وتشير الرواية الملايوية *سيجارا ملايو* للعلاقة التفاعلية التي كانت تربط ما بين الحاكم ووزرائه، وذلك بوصف الحاكم بالنار ووصف الوزراء بالخشب، "فالنار تحتاج للخشب لإنتاج اللهب" (٨٣). ولعل الوزير الأكثر نفوذا آنذاك كان بندهارا، الذي يأتي في المرتبة الثانية بعد السلطان من حيث الأهمية، وجزء كبير من هذه الأهمية تعود إلى علاقة القرابة أو المصاهرة التي ربطت هذا الوزير بالبيت الحاكم؛ فكثيرا ما تكون ابنة بندهارا زوجة للسلطان، وبذلك كان يتم المحافظة على روابط النسب بين هاتين السلطتين المسيطرتين على حكم المدينة (٨٤).

وإلى جانب عمله كمستشار أعلى للسلطان، كان هذا الوزير مسئولا كذلك عن الدفاع عن السلطنة ومصالحها، وتطبيق قوانينها، بالإضافة إلى الإشرف على الأمور المالية. وحوليات الملايو تولي اهتماما وعناية بوصف بندهارا تماما كما تفعل مع السلطان، وهو أمر يؤكد الدور المهم والحاسم الذي كان يلعبه داخل السلطنة (٨٥). والواقع أن بندهارا كان أحيانا هو الذي يحكم ويدير الدولة حقيقة، كما حدث في عهد تون بيراك- الملقب بصانع الملوك-، والذي ارتبط اسمه بأعظم الانتصارات التي حققتها ملقا سياسيا وتجاريا. ورغم أن بيراك قد توفي عام ٩٠٤هـ/١٤٩٨م، ألا أن خلفاءه تابعوا مسيرته، وأصبحوا هم الحكام الفعليين للمدينة؛ فالسلطان محمود شاه لم يكن له من السلطة سوى الاسم، أما القيادة الفعلية فقد كانت في يد بندهارا. كما أن المصادر البرتغالية كانت تصف هذا السلطان بأن اهتمامه الرئيس انصب على الدين والتصوف، كدليل على أنه لم يكن له أي دور في السياسة (٨٦).

والواقع أن هناك تنافسا كبيرا كان يحدث أحيانا للحصول على منصب بندهارا؛ فبعد وفاة السلطان محمد شاه عام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م كان هناك فصيلان قويان يتنافسان

للحصول على هذا المنصب، أحدهما البندهارا القديم المنتمي لفصيل مسلمي الملايو بقيادة تون بيراك، والفصيل الثاني المعارض هم مسلمو التاميل بقيادة تون علي. وقد كان الحكام المتعاقبون بعد السلطان محمد شاه يميلون بطريقة أو بأخرى إلى جانب بندهارا التاميل، وإن كان البندهارا الأقوى وصاحب النفوذ الأكبر– في تاريخ ملقا– يظل هو تون بيراك المنتمي إلى الملايو، نظرا للدور المهم الذي قام به– كما ذكرنا سابقا– من أجل الدفاع عن ملقا ومصالحها (٨٧). وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصراع على منصب البندهارا مع بدايات القرن ١٠هـ/١٦م كان سببا في إضعاف الجبهة الداخلية لملقا، وذلك قبيل مقدم البرتغاليين للمدينة ثم الاستيلاء عليها (٨٨)؛ وقد وصل الأمر إلى ذروته عام ٩١٦هـ/١٥١٠م عندما نشأ صراع بين السلطان محمود شاه وبين البنداهارا تون مطاهير صاحب الأصول التاميلية، وقد وقفت عائلة البندهارا السابق تون بيراك– ذات الأصول الملايوية– إلى جانب السلطان، الذي تمكن من الانتصار على مطاهير وقام بقتله هو ومعظم أفراد عائلته. وكجائزة لهم على مساعدتهم، قام السلطان محمود بإعادة الأسرة الملايوية إلى السلطة من جديد، وتم تعيين تون بادوكا– الابن الأكبر لتون بيراك– كثامن وآخر بندهارا في تاريخ سلطنة ملقا (٨٩).

ثم يأتي بعد بندهارا في المرتبة بنغولو بندهاري *Penghulu Bendahari*، رئيس تجار الميناء (الشهبندر الأكبر)، الذي كان متحكما في إيرادات الدولة (الضرائب والجمارك)، بالإضافة إلى إشرافه على "الخدم السلطاني" و"الكتبة" (٩٠). ثم يأتي في المرتبة الثالثة تمنغونغ *Temenggung*، وهو قائد الشرطة والمسئول عن الأمن داخل المدينة، وغالبا ما كانت تسند هذه الوظيفة لأشخاص يتمتعون بقدر كبير من الثقة لدى السلطان الحاكم. ويأتي في المرتبة الرابعة لاكسمانا *Laksamana*، الذي كان قائدا للحرس الشخصي للسلطان، وكذلك مشرفا وقائدا للأسطول، وجميع الجنود تكون تحت

إمرته. وتزداد أهمية صاحب هذه الوظيفة أثناء الحروب، إذ يذكر بيرس أنه في هذه الحالة ربما يصبح في مرتبة تفوق مرتبة الوزير الأول البندهارا (٩١).

والواقع أن هؤلاء الوزراء- إلى جانب كبار رجال الدولة من الموظفين والقادة- كانوا يمثلون طبقة الصفوة، التي تبوأت المكانة العليا داخل مجتمع ملقا، وكانوا الأكثر قربا من السلطان. وقد تميزت هذه الفئة بلباسهم الخاص ذي الزخارف، الذي يتشابه إلى حد كبير مع لباس السلطان، فضلا عن امتلاكهم للمنازل الفخمة والحدائق الغناء (٩٢).

مهما يكن من أمر، فإن نظم الحكم والإدارة، بالإضافة إلى الطقوس والاحتفالات الملكية، التي شهدت تطورا كبيرا في ملقا خلال القرن ٩هـ/١٥م كان لها تأثير وصدى كبير على الممالك الملايوية التي ظهرت في وقت لاحق، مثل كداه وجوهور (٩٣).

٥. ملقا مركز ووسيط تجاري من الدرجة الأولى:

تعد ملقا بالأساس- منذ نشأتها- مدينة تجارية من الطراز الأول (٩٤). ويذكر تومي بيرس أن ملقا "مدينة وجدت من أجل التجارة" (٩٥). وقد شكلت عوائد تلك التجارة- وفي مقدمتها الضرائب- المصدر الأكبر والأهم في ميزانية ودخل السلطنة، كما أنها نالت بها شهرتها الكبيرة بوصفها محطة رئيسة في شبكة التجارة الدولية في ذلك الوقت (٩٦). وعلى الرغم من أن ملقا لم تكن أول مدينة يتم تأسيسها في شبه جزيرة الملايو، إلا أن هناك عدة عوامل رئيسة قد ساهمت في تبوأ المدينة أهمية قصوى من الناحية التجارية منذ بدايات القرن ٩هـ/١٥م:

أولا: الموقع الجغرافي الاسترتيجي للمدينة، الذي جعلها تتحكم في المضيق الذي أصبح يحمل اسمها (مضيق ملقا)، والذي يفصل شبه جزيرة الملايو عن سومطرة

الأندونسية، وهو الممر المائي الوحيد الذي كان يجب أن تسلكه السفن التجارية الراغبة في التوجه من السواحل الهندية إلى السواحل الصينية أو بالعكس، وبمعنى آخر كان هذا المضيق بمثابة حجر الزاوية في التجارة التي تربط ما بين عالم المحيط الهندي من ناحية ودول ومدن شرق وجنوب شرق آسيا من ناحية أخرى. وعلى ذلك فقد أضحت هذه المدينة هي المتحكمة في التجارة الإقليمية والدولية في أرخبيل الملايو (٩٧).

ثانيا: الميناء المميز الذي كانت تمتلكه المدينة؛ فقد كان هذا الميناء من السعة والكفاءة اللازمة لتخزين البضائع أو إعادة شحنها في السفن بسرعة كبيرة. هذا فضلا عن كون هذا الميناء آمنا لحركة الملاحة؛ فمياهه لا تحتوي على صخور بارزة، ولم تكن كذلك من الضحالة بحيث تتسبب في إعاقة الحركة الملاحية. بالإضافة إلى أن هذا المرفأ كان محميا من العواصف والرياح الشديدة التي كانت– في مواني أخرى مثل ميناء باساي على سبيل المثال– تعيق حركة الملاحة وتلحق خسائر كبيرة بالسفن. وميزة أخرى يجب إضافتها في هذا السياق لميناء ملقا، وهي أن الملاحين كانوا قادرين على التزود بما يحتاجونه من أخشاب لعمل أو إصلاح الصواري، وذلك بسبب وفرة هذه الأخشاب في الغابات الموجودة بالقرب من المرفأ، كما أن هؤلاء الملاحين كانوا يستطيعون التزود بما يحتاجونه من مياه صالحة للشرب (٩٨).

ثالثا: إذا كانت الأدلة والروايات التاريخية تؤكد على أن نشأة ملقا تعود إلى أسرة ذات أصول وجذور سومطرية، فإننا نستطيع التأكيد على أن واحدا من الأسباب التي ساهمت في نهضة وعلو شأن المدينة يكمن في كون هؤلاء المؤسسين السومطريين قد حملوا معهم تقاليدهم وهيبتهم وخبرتهم العريقة في مجال الإدارة والنظم التجارية (٩٩). والواقع أن السلطة الحاكمة قامت بالعديد من الخطوات الفعالة والذكية للإعلاء من قدر مدينتهم ولجذب التجار إليها؛ فقد أحسنت معاملة هؤلاء التجار وقللت من الضرائب

المفروضة عليهم [١٠٠]، كما أنها أعطت أولوية كبيرة لنشر وبسط الأمن داخل المدينة، وحماية التجار وأملاكهم وبضائعهم، وفي هذا السياق قامت ببناء عدد من المستودعات تحت الأرض، بحيث إن البضائع تكون في مأمن من التعرض للسرقة أو الحرائق [١٠١]. وتشير أحد المصادر الصينية إلى قيام بعض رجال الدرويات بالسير في طرقات المدينة وهم يحملون الأبواق من أجل تفقد الأحوال الأمنية. هذا فضلا عن أن المصادر البرتغالية والملايوية قد ذكرت صراحة أن سلاطين المدينة كانوا يشرفون بأنفسهم على إنفاذ القانون. والواقع أن شعور التجار الأجانب بالأمن والأمان داخل ملقا، وتمتعهم بكافة حقوقهم القانونية في حالة وقوع أي نزاع، كانت من أهم العوامل التي دفعت التجار لزيارة المدينة، وإقامتهم بها لفترات زمنية طويلة [١٠٢]. وأخيرا فإن هؤلاء السلاطين- تعزيزا لمصالح بلادهم التجارية- كانوا حريصين على الدخول في علاقات دبلوماسية مع العديد من البلدان في جنوب شرق آسيا، ومع بلاد الصين وبلاد الهند، وبعض المدن العربية والفارسية مثل عدن وهرمز [١٠٣].

رابعا: لعبت بعض الأحداث السياسية آنذاك دورا كذلك في منح ملقا كثيرا من الأهمية التجارية؛ إذ إن ظهور تيمورلنك وما صحبه من تدهور للطريق البري المتجه إلى بلاد الصين- عام ٨٠٠-٨٠١هـ/١٣٩٨م- أجبر القوافل التجارية على ترك هذا الطريق (الذي يسمى بطريق الحرير)، والاتجاه إلى الطريق البحري عبر المضيق المار بملقا، التي كانت في ذلك الوقت في طور النشأة [١٠٤].

مهما يكن من أمر، فإنه خلال القرن ٩هـ/١٥م استطاعت ملقا أن تتفوق على منافسيها، وأن تنال قصب السبق في تجارة المنطقة؛ فقد تفوقت على موانيء باساي وأرو *Aru* الواقعة على الساحل الشمالي الشرقي لسومطرة، والتي كانت لها مشاركات فعالة في التجارة الدولية منذ زمن طويل [١٠٥]. وبمعنى آخر فإن ملقا قد تحولت في ذلك

الوقت من "مدينة صغيرة" إلى "امبراطورية تجارية"، استطاعت أن تفرض هيمنتها على معظم المراكز التجارية في شبه جزيرة الملايو [١٠٦]. ولعل هذه الشهرة والتفوق الكبير لملقا آنذاك هو الذي دفع تومي بيرس للقول: "وليس هناك شك في أن ملقا لها أهمية ومكانة كبيرة، بحيث- فيما يبدو لي- إنها لا مثيل لها في العالم" [١٠٧]. كما يتحدث البوكيرك عن الأهمية التجارية للمدينة قائلا: "هناك ثلاثة أماكن في الهند هي بمثابة أسواق لكل تجارة البضائع الرائجة في ذلك الجزء من العالم والمفاتيح الرئيسة لها، وأولها ملقا باعتبارها مخرج مضايق سنغافورة، والثانية هي عدن في مدخل ومخرج مضايق البحر الأحمر، والثالثة هي هرمز في مدخل ومخرج مضايق الخليج" [١٠٨]. أما Poggio Bracciolini فيذكر أن الجزء الأكبر من تجارة المحيط الهندي- قبل وصول البرتغاليين إلى المنطقة- كانت تسيطر عليه ملقا وبلاد الكوجرات [١٠٩]. ولدينا كذلك شهادة ترتكز على ملاحظات شخصية تبين لنا الازدهار التجاري الذي كانت عليه المدينة؛ وتنسب هذه الرواية للبرتغالي روي أروخو، الذي أرسل خطابا سريا في ذي القعدة ٩١٥هـ/فبراير ١٥١٠م للقائد البوكيرك المقيم آنذاك بمدينة جوا الهندية، يصف له بالتفصيل حجم حركة التجارة داخل المدينة، مشيرا أنه في الوقت الذي كان يكتب فيه رسالته، دخل إلى ميناء ملقا من بين ٩٠ إلى ١٠٠ جنك[١١٠]، كبيرة وصغيرة، بالإضافة إلى ١٥٠ *Praos*. ومن بين التجار الأجانب الكثر الوافدين على المدينة، يذكر أروخو أولئك القادمين من الصين وجاوة وريوكيو والبنغال وبيجو والكوجرات [١١١].

وقد برزت ملقا كمركز ومستودع مهم لتجميع توابل الأرخبيل الشرقي[١١٢]، ثم القيام بتسويق هذه التوابل وبيعها للتجار القادمين إليها من مناطق شتى، هذا بالإضافة لكونها نقطة مركزية في توزيع وتسويق المنسوجات الهندية الشهيرة. هذا الدور المزدوج الذي لعبته المدينة بنجاح كان حاسما في تحقيق نهضتها التجارية، فهو الذي أعطاها

ميزة كبيرة عن بقية المدن التجارية القريبة منها، ومكنها من فرض هيمنتها في منطقة المضيق [١١٣]. وتشير المصادر البرتغالية المعاصرة إلى التفوق التجاري الكبير لملقا في ذلك الوقت، إذ إن قيمة تجارة ملقا كانت تصل سنويا إلى مليونين وأربعمائة ألف *Cruzados*، وهو ما يمثل أكثر من نصف قيمة تجارة مدينة أشبيلية الأسبانية، التي كانت تعد آنذاك واحدة من أهم المدن التجارية الأوربية [١١٤]. كما أن المؤرخ تومي بيرس يشير إلى كثرة التجار القادمين إلى ميناء المدينة من مناطق شتى؛ بحيث إن المرء يستطيع أن يسمع أربعا وثمانين لغة مختلفة في هذا المكان [١١٥]. أما الرحالة فارتيما فيتحدث عن ميناء المدينة المليء بالسفن أكثر من أي ميناء آخر في العالم، الذي كانت تتجمع فيه شتى الأنواع من التوابل وبضائع الشرق النفيسة [١١٦].

وقد استوطن ملقا جالية كبيرة من التجار المسلمين، بالإضافة إلى استقبال المدينة لعدد كبير كذلك من التجار الوثنيين (الهندوس)، وقد وصف بربوزا جميع هؤلاء التجار بالثراء، وأنهم كانوا يمتلكون العديد من السفن الكبيرة [١١٧]. جدير بالذكر، أن السلطات بملقا كانت تبدي ترحيبا كبيرا بالتجار الأجانب الواصلين إلى ملقا، وكانت تعمل جاهدة على جذبهم للإقامة بصفة مستمرة في المدينة، خاصة وأن العمليات التجارية كانت تعتمد بصفة أساسية على هؤلاء الوافدين. كما أن هؤلاء التجار كانوا يتمتعون بالخبرة والمهارة التجارية، التي تجعلهم قادرين على أن يكونوا حلقة الوصل ما بين ملقا وبين مدنهم وبلدانهم، وهي خبرات بالتأكيد لم تكن متوفرة لدى السكان الملايويين المحليين، الذين تركزت أعمال جزء كبير منهم على مهنة الصيد والملاحة الداخلية [١١٨]. والواقع أن تلك الجاليات الإسلامية الوافدة إلى المدينة من مناطق مختلفة تمكنوا من إعطاء المدينة زخما تجاريا كبيرا، ونجحوا في أن يجعلوا منها مركزا تجاريا من الطراز الأول في المنطقة، وفي المقابل فإن تلك التجارة جلبت أموالا وثروات طائلة

لهؤلاء التجار [١١٩]. جدير بالذكر أن العديد من هؤلاء التجار كانوا في وضعية مميزة، مكنتهم من اكتساب ثقة السلطة الحاكمة، كما أنهم تزوجوا من عائلات الملايو المحلية، فنشأت سلالة جديدة لعبت دورا مهما في تاريخ ملقا [١٢٠].

وإذا ما أردنا الحديث عن أهم جنسيات التجار الأجانب الذين كانوا يفدون باستمرار إلى ميناء ملقا، فلا شك أننا سنذكر بداية التجار الهنود، الذين قدموا إلى المدينة منذ بداية بزوغ نجمها كمركز تجاري في منطقة الملايو [١٢١]. ويظهر لنا من بين هؤلاء الهنود فئتان متمايزتان هما: التاميل، وهم هندوس يتحدثون التاميلية، وكانوا يسمون في الملايو *Keling*، والفئة الثانية هم الكوجراتيون المسلمون، الذين كانوا يمثلون القوة الأكبر والأكثر غنى، والذين لعبوا دورا مهما كذلك في نشر الإسلام في ملقا [١٢٢]. جدير بالذكر أنه قبل ارتيادهم لميناء ملقا وتركز عملياتهم التجارية فيه، كان الكوجراتيون يتوجهون إلى مواني‌ء جاوة وسومطرة، التي كانت تعد المراكز المفضلة لتجارتهم [١٢٣].

وبحسب المصادر البرتغالية، فإن التجار التاميل أصبحت لهم مكانة كبيرة داخل ملقا، وتمتعوا بكثير من المميزات خاصة في عهد السلطان مظفر شاه– ثالث حكام ملقا وأول من تلقب بالسلطان–، مع الأخذ في الاعتبار أن والدة هذا السلطان كانت أميرة تنتمي إلى التاميل، وهو الأمر الذي قوى بلا شك من مكانة هؤلاء التجار في البلاط السلطاني [١٢٤]. وقد بلغ عدد التجار التاميل في المدينة– مع وصول البرتغاليين– ما يزيد عن الألف. وكما كان معتادا مع كل الجاليات الأجنبية، فإن التجار التاميل كانوا يسكنون في حي خاص بهم داخل ملقا كان يسمى *Kampong Keling* في ضاحية *Upeh*، على الضفة اليمنى من نهر ملقا [١٢٥]. ويبدو أن اهتمام تجار التاميل انصب بصفة خاصة على تجارة التوابل في منطقة الأرخبيل وخليج البنغال، كما أنهم كانت لهم

مساهمات في تجارة الأرز وتجارة المنسوجات، التي كانوا يقومون بحملها إلى بيجو وسيام وجاوة وجزر الملوك [١٢٦].

وفي المقابل، فإن تجار الكوجرات المسلمين كانوا يمثلون جالية ضخمة داخل المدينة؛ فبحسب تومي بيرس كان يصل إلى ميناء ملقا سنويا حوالي ألف تاجر من الكوجرات، هذا بالإضافة إلى حوالي أربعة أو خمسة آلاف بحارة كوجراتي [١٢٧]. ويبدو أن الكوجراتيين المسلمين- مع اقتراب وصول البرتغاليين للمدينة- كانوا يمثلون الجالية التجارية الأكثر أهمية داخل ملقا، والأكثر قربا من السلطات الحاكمة، خاصة وأنهم قد ربطتهم علاقات مميزة مع وزراء السلطان "البندهارا" [١٢٨].

جدير بالذكر أنه مع وصول أسطول القائد البرتغالي دييجو سكويرا إلى سواحل ملقا عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م أبدى التجار الكوجراتيون عداء واضحا للبرتغاليين؛ فقد كانوا يعلمون مدى الخسارة والضرر الذي سيلحق بهم وبتجارتهم في حالة نجاح البرتغاليين في السيطرة على ملقا. وقد نجح الكوجراتيون في أن يأخذوا إلى صفهم بندهارا (الوزير الأول)، وحاولوا إقناع سلطان ملقا بأن يتخذ الموقف نفسه ضد هؤلاء الأوربيين [١٢٩]. بل إن هناك إشارات إلى قيام التاجر الكوجراتي الشهير ماليك جوبي Malik Gopi بإرسال محاربين إلى المدينة عام ٩١٦هـ/١٥١٠م، من أجل تعزيز قوات السلطان محمود شاه في مواجهة البرتغاليين [١٣٠]. والواقع أن هذا الوضع يأتي متسقا مع مواقف الكوجراتيين المسلمين الموالين للتجار العرب المسلمين، والداعمين لهم ضد عدوهم الأول البرتغاليين، لذلك لم يكن مستغربا أن تكون السفن الكوجراتية هي أول السفن التي قام الأسطول البرتغالي بتدميرها عند وصوله إلى شواطيء المدينة. أما التجار التاميل الهندوس فلم يكن موقفهم واضحا في البداية، وفضلوا الانتظار لما ستؤول إليه الأمور. وقد حاولوا الدخول في وساطة بين البرتغاليين وسلطات ملقا لتحاشي وقوع صدام بين

الطرفين، إلا أن الأمور عندما تطورت لاحقا بوصول أسطول الفونسو البوكيرك وحصاره للمدينة اضطرت طائفة التجار التاميل لمغادرة المدينة بالكلية، فرارا من الحرب التي نشبت بين الطرفين (١٣١).

على أية حال، فقد أولى التجار الكوجراتيون أهمية كبرى للتجارة التي تربط ملقا بالبحر الأحمر والخليج العربي؛ فعلى متن سفنهم انتقلت توابل جنوب شرق آسيا وأندونسيا- بالإضافة إلى المنتجات الصينية كالحرير والخزف- إلى عدن وهرمز وغيرهما من مدن وبلدان الشرق الأوسط والبحر المتوسط (١٣٢). فهؤلاء التجار كانوا هم المسيطرين على أسواق التوابل في معظم سواحل وجزر ومدن جنوب شرق آسيا، حيث كانوا يقومون بشرائها مقابل الأقطان والأقمشة الهندية الشهيرة (١٣٣). أما عن البضائع التي كانت تحملها السفن الكوجراتية من كمباي إلى ملقا فيأتي في مقدمتها الأقطان والملابس الصوفية الملونة، والأواني الزجاجية القادمة من منطقة البحر المتوسط، إلى جانب بعض السلع الأخرى كماء الورد وصبغة النيلي والفضة. وفي المقابل، فإن الكوجراتيين قد حملوا من ملقا إلى مينائهم كمباي البضائع الصينية الشهيرة، كالحرير والبورسلين، إلى جانب التوابل الأندونيسية مثل الفلفل والقرنفل وجوزة الطيب، فضلا عن الأخشاب والعطور وبعض المعادن كالقصدير (١٣٤). ونظرا لهذه العلاقات الوثيقة التي ربطت ما بين ملقا وكمباي فإن تومي بيرس يقول إنه لا يمكن لملقا أن تعيش بدون كمباي، ولا كمباي بدون ملقا، إذا أرادت كل واحدة منهما أن تكون غنية ومزدهرة (١٣٥). كما أنه يقول: لو قدر لكمباي أن تقطع علاقاتها التجارية مع ملقا فإنها لن تستطيع العيش؛ لأنها لن تجد منفذا آخر لتصريف بضائعها (١٣٦). ولا شك في أن سقوط ملقا في أيدي البرتغاليين عام ٩١٧هـ/١٥١١م كان بمثابة ضربة قاصمة لتجار الكوجرات،

الذين اضطروا لترك المدينة، وقد استفاد من هذا الأمر التجار التاميل، الذين أصبحوا من الآن فصاعدا هم أصحاب النفوذ التجاري الأكبر في ملقا (١٣٧).

وتعد بلاد الصين واحدة من أهم القوى التي ربطتها علاقات تجارية وثيقة مع سلطنة ملقا؛ والواقع أن بداية الاتصال والعلاقات بين الطرفين تعود إلى مبادرة الامبراطور يونغ-لو الذي قام بإرسال سفراءه إلى ملقا مع بداية تأسيس المدينة (١٣٨). ولما كانت ملقا تعد بمثابة السوق التجاري الكبير، الذي يتجمع فيه السلع والبضائع من كل مكان، فقد أسرع التجار الصينيون في التوجه إليها من أجل الحصول على هذه البضائع الثمينة، أو لجلب البضائع إليها (١٣٩). وقد أشار بربوزا إلى أن السفن القادمة من الصين كانت تجلب للمدينة كميات كبيرة من الحرير والأواني الخزفية والديباج والساتان متعدد الألوان. كما كان هؤلاء التجار الصينيون يتعاملون في المسك والحديد والملح الصخري والفضة واللؤلؤ والمرجان والتوابل والأخشاب والملابس، وغيرها من البضائع الأخرى (١٤٠).

وبالمقابل فإن التجار الصينيين نجحوا في تحقيق أرباحا طائلة من وراء الفلفل الذي كانوا يحملونه من أسواق ملقا إلى بلادهم؛ فبينما كان سعر قنطار الفلفل في أسواق ملقا لا يكلفهم أكثر من أربع دوكات فإنهم كانوا يبيعونه في أسواق بلادهم بسعر يتجاوز خمس عشرة دوكات(١٤١) للقنطار الواحد (١٤٢). وقد أشار تومي بيرس إلى أن البخور والعاج والقصدير وخشب الصندل كانت تمثل أهم المنتجات التي حملت من ملقا إلى الصين (١٤٣). من ناحية أخرى فإن ملقا ظلت حتى عام ٩١٧هـ/١٥١١م هي المركز الأهم والرئيس الذي كانت تتزود من خلاله بلاد الصين بما تحتاجه من أخشاب البناء، وقد كانت الأسواق الصينية في حاجة ماسة للتزود بكميات كبيرة من تلك الأخشاب، خاصة مع بدايات القرن ١٠هـ/١٦م (١٤٤).

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه بعد خضوع ملقا- اسميا- للنفوذ الصيني بدأت رحلات منتظمة للجنوك الصينية تنطلق من تلك المدينة باتجاه هرمز وكمباي، وقد حملت تلك السفن العديد من البضائع والسلع التي اشتهرت بها ملقا، وفي مقدمتها التوابل (١٤٥). من جهة أخرى، فإنه بالرغم من انسحاب أباطرة مينغ من المحيط الهندي عام ٨٣٧هـ/١٤٣٤م، إلا أن علاقات الصين التجارية مع ملقا لم تشهد أي انقطاع، بل إن تلك الصلات قد شهدت تطورا كبيرا منذ عام ٨٦١هـ/١٤٥٧م؛ عندما أصبح الحظر المفروض على "التجارة الخاصة" أقل تشددا، كما أنه قبل ذلك بسنوات قليلة كان الصينيون قد بدأوا يتحولون من مواني‌ء شمال جاوة، ويركزون تجارتهم مع ملقا (١٤٦). وتذكر G. Bouchon أن الصينيين بدأوا يقللون من رحلاتهم البعيدة نحو سواحل المحيط الهندي شيئا فشيئا، حتى أنهم في نهاية الأمر لم تتجاوز سفنهم ملقا، التي وجدوا فيها كل ما يحتاجون إليه من سلع وبضائع (١٤٧). وقد كانت الجالية التجارية الصينية المقيمة في المدينة تسكن في منطقة خاصة بهم تسمى *Bukit China*، وكانت هذه المنطقة تتمتع بموقع مميز في ذلك الوقت؛ فقد كانت تقع قبالة مضيق ملقا وبحر الصين الجنوبي (١٤٨).

وبداخل ملقا كانت تقيم جالية كبيرة من التجار الجاويين المسلمين، الذين يصفهم بربوزا بالبدانة والقصر والشعر المجعد، كما أنهم كانوا يرتدون ملابس من الخصر فما دونه، أما فوق الخصر فكانوا لا يرتدون شيئا. ومعظم هؤلاء الجاويين كانوا يعيشون في المدينة مع أزواجهم وأبنائهم ولهم ملكياتهم الخاصة (١٤٩). كما أن العائلات الارستقراطية الجاوية- التي كانت تدير التجارة بين شرق أندونيسيا وملقا- كانت موجودة وممثلة كذلك داخل المدينة (١٥٠). والواقع أن هناك علاقات تجارية مميزة قد ربطت بين ملقا وجاوة (١٥١)؛ فكان يصل إلى ميناء المدينة العديد من السفن الجاوية التي كانت

تحمل على متنها كميات كبيرة من المواد الغذائية- وفي مقدمتها الأرز والبصل والثوم- ولحوم الأبقار والأغنام والغزلان والديباج وجوزة الطيب والصبار. كما أن هذه السفن جلبت معها كميات كبيرة من توابل جزر الملوك. هذا بالإضافة إلى أن التجار الجاويين كانوا يحملون معهم أنواع مختلفة من الأسلحة، مثل الرماح والخناجر والسيوف، التي تتميز بجودتها، وهي مصنوعة من الفولاذ الجيد والمعدن المطعم والمرصع. كما حملوا معهم كميات من الذهب المستخرج من جاوة (١٥٢).

من ناحية أخرى كانت تنطلق من ميناء ملقا العديد من السفن التجارية المبحرة باتجاه جزر الملوك *Molucca Islands*، وذلك للحصول على القرنفل الذي اشتهرت بزراعته هذه الجزر، وفي المقابل كانت السفن تحمل معها الملابس والمنسوجات القادمة من مدينة كمباي الهندية، بالإضافة للحرير والأقطان التي تشتهر بها بلاد البنغال، إلى جانب بضائع الصين الشهيرة كالخزف والأواني الفضية (١٥٣). وقد كان هذا القرنفل الذي يصل إلى ملقا من جزر الملوك يعاد تصدير كميات كبيرة منه إلى قاليقوط والعديد من مدن ساحل ملبار الهندي (١٥٤). ثم كانت تقوم هذه السفن بعد ذلك بزيارة العديد من الجزر الأخرى في تلك المنطقة، مثل تيمور*Timor*، التي كانوا يجلبون منها الصندل الأبيض، وهي سلعة وجدت لها سوقا رائجا داخل المدن الهندية، حيث كان الهنود يقبلون على شرائه بكثرة. وفي المقابل كان التجار يحملون لأسواق تيمور الحديد والسيوف والمنسوجات والملابس، وغيرها من البضائع الأخرى (١٥٥).

والواقع أن ملقا كانت تعاني نقصا حادا في محصول الأرز- الذي يعد الغذاء الرئيس للسكان آنذاك- وبعض المواد الغذائية الأخرى، لذلك تعددت البلدان التي توجهت إليها السفن الملقية للحصول على هذه الحبوب (١٥٦). فملقا رغم أهمية موقعها بوصفها "مدينة بحرية تجارية"، إلا انها لم يكن لها ظهير زراعي تستطيع أن تتزود منه بما يسد

احتياجات سكانها من المواد الغذائية، وإنما اقتصر هذا الظهير على مساحات كبيرة من الغابات الخالية من السكان (١٥٧). وتعد مدينة بيجو من أهم المناطق التي تحصلت منها ملقا على كميات كبيرة من الأرز؛ فيذكر بربوزا أن تلك المدينة كانت تتميز بمياهها الوفيرة وتربتها الخصبة، لذلك كان يزرع فيها كميات كبيرة من محصول الأرز، وأنه من مينائها كانت تنطلق العديد من السفن المشحونة بالأرز وقصب السكر متوجهة إلى مينائي ملقا وسومطرة (١٥٨). كما أن كميات كبيرة من الأرز كانت تصل من مارتابان *Martaban*، في مقابل حصول هذه المدينة على الفلفل القادم إلى ملقا من باساي (١٥٩). وبلاد البنغال ومملكة سيام ساهمت كذلك في إمداد ملقا بكميات كبيرة من المواد الغذائية؛ مثل الأرز وقصب السكر، واللحوم المجففة والمملحة، وبعض الفواكه والخضروات كالبرتقال والتين والليمون والجزر (١٦٠).

ولم يغب الوجود العربي والفارسي عن المشهد في ملقا، رغم أننا لا نستطيع بطبيعة الحال مقارنته بالوجود الكوجراتي على سبيل المثال؛ فقد وجدنا هؤلاء التجار العرب والفرس يصلون أحيانا بسفنهم وبأعداد ليست بالقليلة إلى ميناء ملقا. وقد كان الحرير والملابس الصوفية، والأواني الخزفية والزجاجية، والفضة والنحاس، من أهم البضائع التي جلبتها سفنهم للمدينة، وفي المقابل كانوا يحملون معهم عند ارتحالهم بضائع ملقا والشرق الأقصى إلى السواحل العربية والأفريقية والهندية، بل وجزء من هذه البضائع كان يحمل كذلك من المدن العربية إلى الأسواق الأوربية، على متن السفن التجارية الغربية (١٦١). من ناحية أخرى، فإن السفن المنطلقة من ميناء كمباي على الساحل الهندي باتجاه ملقا لم تكن كلها تخص التجار الكوجراتيين فحسب، وإنما كان هناك جزء منها– ولو بنسبة ضئيلة– مملوكا أو مؤجرا لتجار ينتمون إلى العرب والفرس والترك. وقد كان هؤلاء التجار المسلمون يقومون هناك بمقايضة بضائعهم بالتوابل

الشهيرة، كجوزة الطيب القادمة من جزر باندا، والقرنفل القادم من جزر الملوك، والفلفل الأبيض الواصل من سومطرة، وغيرها من منتجات الشرق الأقصى [١٦٢]. فضلا عن ذلك، فقد كانت السفن القادمة من البحر الأحمر أو الخليج الفارسي إلى مدينة قاليقوط- المدينة التجارية الأشهر على الساحل الغربي لبلاد الهند- تستطيع التزود بما تحتاجه من التوابل القادمة من ملقا، وذلك مقابل السلع والبضائع القادمة من الغرب الأوربي [١٦٣]. من ناحية أخرى، فإنه بالإضافة إلى دورهم في النشاط التجاري، فإن هناك بعض الآراء تذهب للقول إن بعض التجار العرب القادمين إلى ملقا هم الذين حملوا الإسلام إلى شمال غرب بورنيو *Borneo*، وجزر سولو *Sulu*، والجزء الجنوبي من الفلبين[١٦٤].

وتشير المصادر البرتغالية إلى أن ملقا كانت تتحصل على المرجان من عدن ومن بعض الموانيء الكوجراتية؛ والحقيقة أن هذا المنتج كان يمثل جزءا مهما من صادرات ملقا للأسواق الصينية، بل إن هذه السلعة كانت تدرج أحيانا كجزء من الضريبة التي كان يقوم سلطان ملقا بحملها إلى البلاط الصيني [١٦٥]. قي المقابل، فإن المنسوجات التي كانت تصل من ملقا إلى هرمز كانت ذات جودة عالية، ووجدت لها رواجا كبيرا في أسواق هرمز، لذلك وجدنا السلطات الهرمزية تفرض ضريبة مرتفعة على تلك المنسوجات، والتي كانت تصل إلى ما يزيد عن ١٦٪ من قيمتها، في الوقت الذي كانت فيه المنسوجات القادمة من الساحل الهندي لا تتجاوز ضريبتها ١٠٪ [١٦٦].

جدير بالذكر أنه بعد فرض البرتغاليين لهيمنتهم على السواحل الهندية الغربية، كانت سفن التجار المسلمين المنطلقة من ملقا والمتوجهة إلى السواحل العربية مضطرة لتغيير خط سيرها، حتى تبتعد عن خطر الوقوع في أسر الأسطول البرتغالي، وعلى ذلك فلم تعد تلك السفن ترسو بموانيء ساحل ملبار الهندي، ثم تنطلق من هناك إلى عدن أو

هرمز كما كان الأمر سابقا، وإنما أخذت تحط رحالها عند الطرف الجنوبي من جزيرة سيلان، أو عند جزر المالديف (١٦٧).

أما بالنسبة لحركة السفن القادمة إلى ملقا أو المنطلقة منها إلى الجهات المختلفة فقد كان نظام الرياح الموسمية هو المتحكم في حركة تلك السفن؛ فتلك القادمة من الهند ومن البلاد الغربية كانت تصل إلى ميناء ملقا في الفترة الزمنية الممتدة بين شهري مارس ويناير، بينما تجار الصين والمناطق الشرقية كانوا يصلون بسفنهم ما بين شهري نوفمبر ومارس، أما تجار الأرخبيل الغربي فموعدهم ما بين مايو وسبتمبر. جدير بالذكر أن موعد عودة هؤلاء التجار بسفنهم إلى بلادهم كان عرضة للتأخير في بعض الأحيان وذلك لعدة أسباب؛ منها تغير حركة واتجاه الرياح الموسمية، ومنها أيضا رغبة هؤلاء التجار في البقاء بالمدينة لزمن أطول لاستكمال عملياتهم التجارية (١٦٨).

يتبقى الإشارة هنا إلى أن السلطة الحاكمة في ملقا وكبار رجال الدولة كانت لهم مشاركة فعالة في تلك التجارة، التي بفضلها حققوا كثيرا من الأرباح والثروات (١٦٩)؛ فعلى سبيل المثال، يذكر البرتغالي أروخو- في رسالته الموجهة إلى القائد البرتغالي البوكيرك- أنه من بين مائة سفينة تجارية كانت قد وصلت إلى ميناء ملقا، هناك ٣٠ منها كانت ملكا لسلطان المدينة (١٧٠).

رؤساء التجار:

كانت المعاملات والعمليات التجارية تسير بنظام إداري دقيق ومنظم داخل ملقا؛ فقد كان يوجد بميناء المدينة أربعة رؤساء- يطلق على كل واحد منهم لقب شهبندر- يديرون العمليات التجارية ويشرفون عليها، وكان كل واحد منهم بمثابة المتحدث والممثل لمجموعة من الدول والمدن التجارية. وقد أشار تومي بيرس إلى أنه من الأشياء التي

تدل على عظمة ملقا وتفوقها على غيرها، هو أن الموانيء التجارية المجاورة لها كانت تمتلك شهبندر واحد لتصريف أمور التجارة، والاعتناء بجميع السفن القادمة إلى المرفأ، في حين أنه كان يوجد بملقا ما لا يقل عن أربعة:

الأول منهم- وهو الأكثر أهمية- كان مهتما بشئون التجار الكوجراتيين فقط [١٧١]، وذلك بسبب العدد الكبير لأفراد هذه الجالية- فقد قدر تومي بيرس عددهم بحوالي ألف تاجر كما ذكر سابقا- والشهبندر الثاني كان مهتما بأحوال التجار القادمين من ساحل كرومندل والبنغال وبورما وباساي في شمال سومطرة، أما رئيس التجار الثالث فقد كان يمثل تجار بالمبنج وجاوة وجزر الملوك وبورنيو والفلبين، وآخر هؤلاء الرؤساء كان للتجار القادمين من بلاد الصين والتجار القادمين من الموانيء الشرقية لشبه جزيرة الهند-الصينية [١٧٢].

وكل واحد من هؤلاء الرؤساء كان مسئولا عن استقبال التجار القادمين من منطقته والترحيب بهم، والاهتمام بشئونهم، والمحافظة على حقوقهم [١٧٣]. كما أنه كان يشرف على نقل البضائع التجارية إلى المستودعات، والإشراف كذلك على أوزانها والعملات المستخدمة في عمليات البيع، وبصفة عامة الإشراف بشكل كامل على السوق وما يتم به من صفقات تجارية. هذا بالإضافة إلى أنه كان يقوم بالفصل في النزاعات التي قد تنشأ بين قائدي السفن (الربابنة) وبين التجار [١٧٤].

نظام البيع والشراء:

أما عن وسائل وطرق البيع والشراء في ملقا، فبالإضافة إلى نظام المقايضة الذي كانت تتم به معظم العمليات والصفقات التجارية، فقد تم استخدام أوزان الذهب والفضة، كما أنه أحيانا كانت تستخدم بعض العملات المعدنية الواصلة إلى المدينة من

عدة مناطق ودول مختلفة، مثل الأشرفي القادم من كمباي وهرمز، بالإضافة إلى العملة الذهبية لباساي، هذا إلى جانب ظهور النقد الصيني، الذي شهد رواجا كبيرا في أسواق ملقا خاصة مع بداية القرن ١٠هـ/١٦م [١٧٥]. وبدرجة أقل كانت تستخدم أحيانا العملات المصنوعة من القصدير "الصفيح"، التي بدأ سلاطين ملقا يقومون بسكها مع منتصف القرن ٩هـ/١٥م، وهي التي أشار إليها تومي بيرس باسم *Calains* [١٧٦].

الضراب المفروضة على التجارة

يشير بربوزا إلى أن الجزء الأكبر من ميزانية ودخل السلطنة كان يأتي من الضرائب والرسوم لتي كانت تفرض على التجار والأهالي [١٧٧]. وقد كان هناك نظام دقيق متبع في الضرائب والجمارك التي تفرض على البضائع التجارية داخل الميناء، كما أن السلطة الحاكمة وضعت نظاما ضريبيا متنوعا يستند إلى أولويات معينة؛ فعلى سبيل المثال، من أجل تشجيع التجار على جلب المواد الغذائية، التي كانت تعاني المدينة نقصا حادا فيها، فإن الرسوم الجمركية تكاد تكون منعدمة على تلك السلع. في حين أن ضريبة كانت تصل إلى ٦٪ يتم فرضها على السلع والبضائع التجارية الواصلة إلى ميناء المدينة، هذا إلى جانب رسوم إضافية تتراوح من ١٪ إلى ٢٪ في شكل هدايا– تقدم للحاكم ولكبار الوزراء– كان يدفعها تجار غرب آسيا والهند وسيلان وبيجو وسيام، في حين أن تجار جنوب شرق آسيا كانوا مطالبين بدفع مبلغ ضئيل [١٧٨]. وبالنسبة للتجار القادمين من المناطق التي تقع شرق ملقا– بما في ذلك الصين وريوكيو– فالرسوم التي كانوا يسددونها بلغت ٥٪ من قيمة بضائعهم [١٧٩].

من ناحية أخرى، فإن موظفي الميناء كانوا يقومون بتحصيل رسوم وزن بقيمة ١٪ على البضائع الواردة والصادرة من ملقا [١٨٠]. وإلى جانب تلك الضرائب المفروضة

على التجارة الخارجية- سواء الصادرة أو الواردة- فإن السلطات كانت تقوم كذلك بجباية ضرائب على التجارة الداخلية، التي كانت تصل في العادة إلى ٣٪ (١٨١).

جدير بالذكر أن السلطات في ملقا قامت بفرض رسوم على التجار الأجانب القادمين من الغرب، والراغبين في الإقامة الدائمة بالمدينة، وقد بلغت قيمة هذه الرسوم ٣٪، هذا بالإضافة إلى ٦٪ أخرى تحت مسمى "الضرائب الملكية". أما فيما يخص التجار المحليين القادمين من أرخبيل الملايو، فإن قيمة تلك الضرائب الملكية كانت تصل إلى ٣٪ فقط (١٨٢).

مهما يكن من أمر، فبالرغم من أن هذه الأموال المحصلة من جمرك الميناء كانت تمثل المصدر الأول في دخل وموارد ملقا، إلا أن قيمتها كانت تعد قليلة إذا ما قورنت بالأموال المحصلة في موانيء المدن التجارية المنافسة لملقا في المنطقة (١٨٣).

٦. سقوط ملقا في يد البرتغاليين:

مما لا شك فيه أن شهرة ملقا كمركز رئيس للتجارة البحرية في المنطقة كان قد نما إلى علم الملك البرتغالي مانويل منذ بداية القرن ١٠هـ/١٦م؛ إذ إنه لما وصل فاسكو دي جاما إلى ساحل ملبار- في رحلته الثانية عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م- رأي بطول هذا الساحل العديد من الموانيء المشهورة بتجارة التوابل، لكنه علم كذلك أن "سوق التوابل الحقيقي" كان في ملقا، الواقعة في أقصى الشرق (١٨٤). كما أن ملقا لم تكن في نظر البرتغاليين مجرد ميناء تجاري مزدهر أو مدينة من أكبر مدن الشرق فحسب، ولكنها كذلك كان لها موقع استرتيجي مهم، بحكم سيطرتها على المضيق بين شبه جزيرة الملايو وسومطرة، الذي من خلاله كانت تمر جميع القوافل التجارية المتجهة إلى

اندونسيا والشرق الأقصى؛ من هنا فقد كان هذا المضيق وتلك المدينة التي تتحكم فيه أحد المنافذ الاستراتيجية التي سعى الملك البرتغالي لبسط سيطرته ونفوذه عليها (١٨٥).

مهما يكن من أمر، فقد كانت لدى الملك البرتغالي مانويل رغبة أكيدة في السيطرة على تجارة منطقة المحيط الهندي، وطرد التجار المسلمين منها، لذلك فقد عمل جاهدا على اخضاع أهم ثلاثة منافذ في المنطقة لسيطرته، وهي هرمز وعدن وملقا؛ أما هرمز وعدن فإن السيطرة عليهما يعني حرمان التجار المسلمين من أهم قاعدتين بحريتين تتحكمان في مدخلي البحر الأحمر والخليج العربي، وأما ميناء ملقا فإن السيطرة عليه كان يعني توجيه ضربة قاصمة للتجارة الإسلامية، بحكم كون هذه المدينة هي حلقة الوصل بين عالم المحيط الهندي وبلاد الصين (١٨٦).

وقد ظهرت نوايا الملك البرتغالي تجاه ملقا مبكرا؛ إذ إنه لما أرسل دوم فرنسيسكو ألميدا عام ٩١١هـ/١٥٠٥م- على رأس أسطول مكون من عشرين سفينة- إلى منطقة المحيط الهندي، كانت من ضمن التعليمات التي صدرت له: استكشاف ملقا وسري لانكا، ومحاولة بسط النفوذ عليهما (١٨٧). كما أنه- مع اقتراب نهاية فترة ألميدا في منصب نائب الملك بالهند- أخرج الملك البرتغالي من لشبونة عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م حملة استكشافية تحت قيادة دييجو لوبيز سكويرا باتجاه ملقا، لمحاولة إبرام اتفاق صداقة مع سلطانها، ولتأسيس "مستودع تجاري" للبرتغاليين في تلك المدينة، واعدا إياه بأنه إذا ما تمكن من إنجاز تلك المهمة فإنه سيتقلد منصب الحاكم في المنطقة الواقعة شرق الهند (١٨٨). وقد وصل البرتغاليون إلى سواحل المدينة في شهر أغسطس من هذا العام، وقام الوزير (بندهارا) بإرسال قارب باتجاه الأسطول البرتغالي للاستفسار عن هويتهم وسبب مجيئهم للمدينة، فرد عليه سكويرا بخطاب مكتوب باللغة العربية- كان قد جهزه مسبقا الملك مانويل- لتسليمه للسلطان، وأرفق معه الهدايا (١٨٩). ورغم أن حاكم ملقا قد

أحسن بداية استقبال سكويرا، كما أنه سمح للبرتغاليين بإرسال ٣٠ رجلا إلى الشاطيء من أجل تشييد قلعة برتغالية، إلا أن التجار المسلمين تدخلوا لدى السلطان، وأقنعوه بخطورة هؤلاء الأوربيين، وحثوه على مجابهتهم وعدم الدخول معهم في سلام. نتيجة لذلك فإن حامية المدينة قامت بقتل وأسر العديد من البرتغاليين الموجودين على الساحل، كما أنهم حاولوا مهاجمة سفن سكويرا، مما دفع هذا الأخير للإنسحاب، بعدما أمر جنوده بإطلاق بضع قذائف على المدينة (١٩٠).

وبمجرد أن سمع الملك مانويل بالكارثة التي حلت بسكويرا وجنوده قام في ذي القعدة ٩١٥هـ/مارس ١٥١٠م بتجهيز وإرسال أسطول برتغالي يتكون من أربع (أو ست) سفن تحت قيادة دييجو منديز للانتقام لجنوده، وكانت الأوامر الملكية قد صدرت لمنديز بضرورة الاستيلاء على ملقا. أبحرت تلك السفن أولا باتجاه الساحل الهندي للتشاور مع نائب الملك الفونسو البوكيرك في الأمر؛ وقد رأى هذا الأخير تأجيل مشروع الاستيلاء على ملقا، لأن إرسال قوة كبيرة إلى هذه المدينة ومغادرة الساحل الهندي كان سيؤدي إلى إضعاف الوجود البرتغالي في المنطقة، لذلك فقد احتفظ بمنديز ومن معه من جنود لمساعدته في إخضاع مدينة جوا (١٩١)، وتنظيم القاعدة البحرية البرتغالية في الهند (١٩٢).

وفي شهر المحرم ٩١٧هـ/ابريل ١٥١١م، وبعدما استتب له الأمر على الساحل الهندي، أبحر ألبوكيرك باتجاه ملقا لمهاجمتها بأسطول مكون من ١٨ سفينة و٨٠٠ محارب، وكان هذا القائد عازما على غزو المدينة بنفسه، وأمر منديز بأن يكون تحت إمرته، فلما رفض هذا الأخير وعدد من القادة الآخرين تلك الأوامر قام بسجنهم، ثم أرسلهم لاحقا إلى البرتغال لمخالفتهم الأوامر. وفي أوائل شهر يوليو من هذا العام ظهرت السفن البرتغالية أمام سواحل ملقا، وقد لجأ البوكيرك إلى محاولة بث الرعب

والخوف في نفوس محاربي وأهالي المدينة، وذلك من خلال رفع الأعلام البرتغالية والتلويح بها مع أصوات الأبواق وطلقات نيران البنادق (١٩٣).

وفي الحقيقة، إن مهمة إخضاع ملقا والاستيلاء عليها لم يكن أمرا سهلا كما كان يتوقعه البرتغاليون؛ فقد واجه البوكيرك مدينة محصنة تدافع عنها مدفعيتها بقوة، واكتشف أن صانعي تلك الأسلحة لا يقلون مهارة وكفاءة عن نظرائهم الأوربيين، كما أن القائد البرتغالي كان مندهشا من وجود الكثير من المدفعية في المدينة (١٩٤). والواقع أن قوات ملقا كانت تتميز بالكثرة والمهارة؛ فإلى جانب المحاربين الملايويين المحليين كان جيش ملقا يشتمل كذلك على عدد كبير من القادة والمحاربين القادمين إليها من مناطق متعددة، وقد ظهر هذا الأمر جليا أثناء الهجوم البرتغالي على المدينة، فقد لعب هؤلاء المحاربون دورا بطوليا في الدفاع عنها؛ ومن هؤلاء: تون باندان Tun Bandan وهو محارب من البنغال، وقد كان أحد أقرب مساعدي السلطان محمود شاه، وقد توفي باندان أثناء دفاعه عن المدينة. وهناك كذلك تون مجليس Tun Majlis، وهو من أصل بنغالي أو تركي، وقد التحق بخدمة السلطان محمود، وتبعه إلى بنتان بعد هزيمته أمام البرتغاليين ومغادرته لملقا (١٩٥). كما أن هناك إشارات إلى انخراط عدد من المحاربين الفرس في جيش ملقا (كمرتزقة)، وربما كان هؤلاء الجند يتمركزون في ضاحية بالمدينة تسمى إلهر *Ilher*، الواقعة جنوب شرق المدينة (١٩٦).

مهما يكن من أمر، فإن الخطوة الأولى التي قام بها البوكيرك هي مراسلة السلطان محمود، الذي قام بدوره بالترحاب بالبرتغاليين، وأبدى استعداده للدخول معهم في سلام. من ناحيته، طلب القائد البرتغالي من السلطان– قبل عقد أي معاهدة سلام– إطلاق سراح جميع الجنود البرتغاليين الذين تم أسرهم أثناء حملة سكويرا على المدينة عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م، ودفع تعويض عن البضائع التي كان قد قام بعض رعاياه بنهبها

من السفن البرتغالية [١٩٧]. وبعد مرحلة فاشلة من المراسلات بين الطرفين قرر البوكيرك مهاجمة المدينة [١٩٨]، ورغم ما أبداه جنود ملقا وسلطانهم من بسالة في الدفاع عن مدينتهم[١٩٩] إلا أن البرتغاليين تمكنوا من مهاجمة جسر المدينة واضطرت حامية المدينة للفرار من المكان، ثم قامت السفن البرتغالية [٢٠٠] بتصويب مدافعها تجاه المدينة، مما الحق ضررا كبيرا بها وتسبب في مقتل عدد كبير من سكانها، وبعد عشرة أيام متواصلة من القصف، ونتيجة للاضرار التي لحقت بالمدينة، اضطر الأهالي لمراسلة البوكيرك يطلبون منه العفو ويعلنون استسلامهم. ولما دخل البرتغاليون المدينة منتصرين أصدر البوكيرك أوامره لجنوده بنهب المدينة وقتل من يجدونه من المسلمين، وهو الأمر الذي أودى بحياة كثير من الرجال والنساء والأطفال [٢٠١]. ونظرا لما كانت عليه المدينة من ثراء وازدهار، فقد كانت الغنائم التي تحصل عليها البرتغاليون من الكثرة بمكان؛ فعلى سبيل المثال كان نصيب ألبوكيرك من تلك الغنائم ستة أسود من البرونز- التي طلب وضعها بجوار قبره بعد موته-، وسوار من الذهب، بالإضافة لبعض الفتيات الأسيرات من جنسيات وأصول مختلفة، اللاتي قرر القائد أن يرسلهن إلى بلاط الملك البرتغالي مانويل [٢٠٢]. أمام تلك الهزيمة اضطر السلطان محمود لمغادرة المدينة والهروب باتجاه باهانج، ومن هناك قام بمراسلة الامبراطور الصيني أملا في المساعدة لاستعادة مدينته، بيد أن الإجابة التي وصلته لم تكن مرضية، فقد اعتذر الامبراطور عن الاستجابة لطلبه، معللا ذلك بانشغاله بمحاربة التتار [٢٠٣].

مهما يكن من أمر، فإن قولنا "استيلاء البرتغاليين على مدينة أو ميناء ملقا" يعد أقرب للصواب من قولنا "استيلاء البرتغاليين على سلطنة ملقا"؛ وذلك لأن سلطنة ملقا في معناها الواسع كانت تمتد بطول ضفتي المضيق الذي يحمل اسم المدينة. كما أن القائد البرتغالي البوكيرك، الذي كان يسعى لفرض السيادة والنفوذ البرتغالي على البحار

فحسب دون الرغبة في إقامة "امبراطورية على الأرض"، لم يستول إلا على عاصمة سلطنة ملقا، مع فرض نفوذه على منطقة صغيرة تمتد من كوالا لينجي *Kuala Linggi* إلى موار*Muar* (٢٠٤). هذا الأمر بلا شك ساعد السلطان محمود- بعد الفرار من عاصمته- على اللجوء لبعض المدن الأخرى التي كانت تقع تحت حكم مملكته، مثل بنتان *Bintan* وباجوه *Pagoh* وأخيرا جوهور *Johor*، التي أصبحت مقرا لحكمه وحكم خلفائه من بعده. وخلال قرن من الزمان قامت هذه الأسرة بتنفيذ عدة هجمات ضد ملقا البرتغالية، وبدورهم قام البرتغاليون كذلك بمهاجمة جوهور أكثر من مرة (٢٠٥).

والواقع أن نجاح البرتغاليين في الاستيلاء على ملقا فتح أمامهم الطريق للسيطرة على تجارة الصين، والأرخبيل الهندي، كما أن ملقا كانت في ذلك الوقت بمثابة المتجر الرئيس الذي تنتهي إليه كل بضائع الشرق الأقصى (٢٠٦). ولما كانت منطقة شرق وجنوب شرق آسيا لا تزال غير معروفة للأوربيين حتى ذلك الوقت، فإن البوكيرك بعد استيلائه على المدينة انتهز الفرصة وقام بإرسال عدة حملات استكشافية إلى الموانيء التجارية، التي أصبحت الآن مفتوحة أمام البرتغاليين، وذلك لإحكام سيطرته التجارية في المنطقة (٢٠٧). كما أنه بخضوع ملقا لسيطرة البرتغاليين، انتهى دور المدينة بوصفها مركز الإسلام الأول في المنطقة، والتي استمرت تمارسه لما يزيد عن قرن كامل (٢٠٨). وبعد سقوط ملقا انفرط عقد شبه جزيرة الملايو وانحلت وحدتها؛ فأصبحت السلطة في شبه الجزيرة وكذلك في منطقة ساحل بورنيو وسومطرة موزعة بين عدد من السلاطين. وبالرغم من أن بعضا من تلك السلطنات الصغيرة قد حاولت أحيانا الدخول في تحالف يجمع بينها، إلا أنها لم تصل إلى مرحلة الاندماج في وحدة واحدة، كما كان الحال في عهد سلطنة ملقا (٢٠٩).

يتبقى لنا في هذا السياق الإشارة إلى أن استيلاء البرتغاليين على ملقا كان يعد جزءا رئيسا في مشروعهم الصليبي، الهادف إلى القضاء على دولة المماليك وتقويض العالم الإسلامي، وذلك من خلال توجيه ضربة قاصمة لتجارته مع عالم المحيط الهندي ومنطقة جنوب شرق آسيا، وبالتالي القضاء على أهم مصادر اقتصاده. هذا الأمر يبدو جليا في كلمات الفونسو البوكيرك لجنوده بعد استيلائه على المدينة؛ فقد أخبرهم بأنه سيدمر الإسلام في هذه المنطقة، وستعلن القاهرة ومكة إفلاسها بعد فقدها لتجارتها المربحة في منطقة المحيط، كما أن هذا الأمر سيجبر التجار البنادقة على القدوم إلى أسواق لشبونة البرتغالية من أجل الحصول على التوابل، بدلا من الذهاب لأسواق الشرق [٢١٠]. كما أن هذا القائد- الذي كان يعارض أي تسامح مع المسلمين- عقب دخوله ملقا قام بتدمير مسجد المدينة بالكامل، هذا فضلا عن قيامه بطرد جميع التجار المسلمين [٢١١]. أما بالنسبة للملك البرتغالي دوم مانويل، فإن سقوط ملقا في أيدي جنوده جلب له فرحة كبيرة، وقام لاحقا بمراسلة البابا ليو العاشر- في ربيع الأول ٩١٩هـ/يونيو ١٥١٣م- مبشرا إياه بالنصر "على الكفار الوثنيين"، زافا إليه الخبر السعيد بأن "القرن الذهبي قد أصبح ملكا للبرتغال"، وذاكرا له أهمية تلك المدينة من الناحية التجارية؛ حيث كان يجتمع فيها التجار القادمون من الصين وسومطرة وجاوة وبيجو، وجميعهم قد أقر بخضوعهم لسلطة الملك البرتغالي [٢١٢]. وقد كان لسقوط ملقا في يد البرتغاليين صدى كبير في أوروبا، واستدعى هذا الأمر إقامة قداس، وقال أحد الخطباء في هذا الاحتفال: إن سقوط هذه المدينة سيسهل استعادة القدس، وإن الصليب قد وصل إلى أماكن بعيدة، كما إنه اتهم سلطان ملقا بأنه مسلم متعصب كاره للنصارى [٢١٣]. مهما يكن من أمر، فإنه ما قبل استيلاء البوكيرك على ملقا لم يكن باستطاعة البرتغاليين سوى الدخول في مناوشات من أجل تعطيل حركة تجارة التوابل، وإلحاق الضرر بالتجار المسلمين في منطقة المحيط الهندي، أما مدن وجزر جنوب شرق آسيا فقد عملت بجد على أن تظل

هذه التجارة بعيدة عن سيطرة هذه القوة الأوربية، وعلى ذلك فقد كان سقوط ملقا في أيدي البرتغاليين يمثل صدمة قوية للوجود الإسلامي وللتجارة الإسلامية؛ فقد كان هذا الحدث يعني فقد التجار المسلمين لآخر قاعدة لعملياتهم ولشبكتهم التجارية في منطقة المحيط الهندي [٢١٤].

خاتمة البحث

من خلال هذه الدراسة التي تعرضت لتاريخ سلطنة ملقا الإسلامية من حيث نشأتها وأوضاعها السياسية ومكانتها التجارية نستطيع أن نلخص أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث فيما يلي:

- هناك اختلاف في الآراء بخصوص تاريخ نشأة وظهور ملقا وتحولها للإسلام، وان كانت الروايات التاريخية ترجح أن هذا الأمر قد تم مع بداية القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي.
- اعتناق حكام وأهالي ملقا للإسلام ارتبط بالجهود التي بذلها التجار المسلمون- بصفة خاصة الكوجراتيين- الوافدون إلى المدينة، بالإضافة للدور الذي لعبته السلطة الحاكمة المسلمة بمدينة باساي من أجل حمل الإسلام لهذه المدينة الوليدة. كما أن رغبة السلطة بملقا في زيادة الأهمية التجارية لمدينتهم وجلب التجار المسلمين إليها قد ساهم كذلك في نجاح هذا الأمر.
- رغم البداية المتواضعة لملقا عند ظهورها- بوصفها قرية للصيد والقنص- إلا أنه في غضون سنوات قليلة تمكنت هذه المدينة من أن ترسخ أقدامها في المنطقة وأن يكون لها قصب السبق في شبكة التجارة الإقليمية والدولية، بل والتفوق على مدن وموانيء ملايوية كانت تفوقها خبرة وعراقة في هذا المجال.
- تعددت العوامل التي جعلت من ملقا محطة تجارية لا مثيل لها في منطقة جنوب شرق أسيا، من ذلك موقعها الاستراتيجي الذي مكنها من أن تتحكم في المضيق الذي يحمل اسمها، والذي يعد بمثابة شريان الحياة للتجارة الرابطة بين بلاد الصين ومدن شرق وجنوب شرق آسيا من ناحية وعالم المحيط الهندي من ناحية أخرى. كما أن ميناء المدينة المميز بسعته وكفاءته وخلوه من العقبات والصخور البارزة

ساعد على تأمين حركة الملاحة. هذا دون أن ننسى الدور الحيوي الذي لعبته السلطة الحاكمة في ملقا من أجل الإعلاء من مكانة مدينتهم وجذب التجار إليها؛ فقد أحسنت معاملة هؤلاء التجار وقللت من الضرائب المفروضة عليهم، كما أنها أعطت أولوية كبيرة لنشر وبسط الأمن داخل المدينة، وحماية التجار وأملاكهم وبضائعهم.

- الازدهار والدور الرائد الذي بدأت تمارسه ملقا في مجال التجارة كان مرتبطا كذلك بتفوق وهيمنة سياسية، مكنها من أن تصبح سلطنة مترامية الأطراف، وذلك بفرض سيطرتها وهيمنتها على معظم مدن شبه جزيرة الملايو، بل وتمكنت كذلك من أن تبسط هذه السيطرة على أجزاء كثيرة من الساحل الشرقي لجزيرة سومطرة.
- وجد بسلطنة ملقا نظام إداري ناجح، اتسم بالنظام الدقيق، وكان محددا بشكل جيد وذا نظام هرمي، يأتي على رأسه السلطان ثم الوزراء وبقية أفراد الحاشية الحاكمة. وقد كانت هناك حقوق وواجبات التزمت بها السلطة الحاكمة تجاه الرعية، وهو أمر جعل هؤلاء السكان يجلون ويحترمون حكامهم ويدينون لهم بالولاء والطاعة. وبصفة عامة تميز سلاطين ملقا بالمهارة والحنكة التي مكنتهم من الارتقاء بسلطنتهم وبسط نفوذها الخارجي، كما أن الوزراء وكبار رجال الدولة– مثل البندهارا (رئيس الوزراء) وتمنغونغ (قائد الشرطة) ولاكسمانا (قائد حرس السلطان وقائد الأسطول)– كان لهم دور ملموس في إدارة شئون السلطنة، خاصة وأن الحكام دائما ما كانوا يستشيرونهم في جميع الأمور.
- دخلت سلطنة ملقا في علاقات متشعبة مع القوى السياسية المحيطة بها، وقد تنوعت طبيعة هذه العلاقات بحسب الظروف والمصالح: فرأيناها تتسم بالصداقة والرضا بقبول الخضوع (حتى وإن كان اسميا) كما هو الحال مع بلاد الصين، التي كانت تعد المدافع الأول عن السلطنة ضد أطماع الأعداء من ناحية، والشريك التجاري

الأول من ناحية أخرى. بينما وجدنا هذه العلاقات يسودها العداء كما هو الحال مع مملكة سيام البوذية، التي ظلت أطماعها في إخضاع ملقا قائمة حتى سقوط هذه المدينة في أيدي البرتغاليين.

- منذ النصف الثاني من القرن ٩هـ/١٥م، أصبحت ملقا تمثل المركز الإسلامي الرئيس لنشر الإسلام في منطقة الأرخبيل وشبه جزيرة الملايو، كما أنها لعبت دورا مهما في نشر وترسيخ الثقافة والقيم الإسلامية في جنوب شرق آسيا. والواقع أن سلاطين المدينة أنفسهم قد أخذوا على عاتقهم مهمة نشر الدين الإسلامي في مدينتهم وفي جميع المدن التي كانت تخضع لسيطرتهم، كما أنهم عملوا على جذب العلماء إلى مدينتهم، وشملوهم برعايتهم، وكانوا يستمعون لنصائحهم في كل ما يعود بالمنفعة على البلاد. وبصفة عامة فإن الدور الذي لعبته ملقا في نشر الإسلام في منطقة الأرخبيل وفي جنوب الفلبين وفي برنيو وجاوة وجزر الملوك لا يقل أهمية عن الدور المحوري الذي لعبته المدينة في تجارة المنطقة في ذلك الوقت.
- كانت ملقا تمثل هدفا محوريا واسترتيجيا في المشروع البرتغالي الصليبي الهادف لتقويض العالم الإسلامي- وفي مقدمته دولة المماليك- وذلك من خلال السيطرة على أهم المراكز التجارة في منطقة المحيط الهندي وطرد التجار المسلمين منها. والواقع أن اهتمام البرتغاليين بملقا لا يعود إلى عام ٩١٧هـ/١٥١١م- وهو العام الذي سقطت فيه المدينة في أيديهم- وإنما كانت المدينة حاضرة في أذهانهم ومشاريعهم منذ وصول حملة فاسكو للمنطقة عام ٩٠٨هـ/١٥٠٢م، وهو الأمر الذي جعل الملك دوم مانويل يرسل عدة حملات لاستكشاف المدينة، كما حدث مع حملتي ألميدا وسكويرا. ولا شك أن سقوط ملقا في أيدي البرتغاليين كان يمثل ضربة قوية للوجود الإسلامي وللتجارة الإسلامية في المنطقة؛ فقد كان هذا الحدث يعني فقد التجار المسلمين لآخر قاعدة لعملياتهم ولشبكتهم التجارية في منطقة المحيط

الهندي. كما أنه بخضوع ملقا لسيطرة البرتغاليين انتهى دور المدينة بوصفها مركز الإسلام الأول في المنطقة– والتي استمرت تمارسه لما يزيد عن قرن كامل–، وانفرط عقد شبه جزيرة الملايو وانحلت وحدتها.

الهوامش:

(1) Y. Abu Bakar, "Foreign Documents and the Descriptions of Melaka between A. D. 1505-1511", Article en Ligne: https://en.unesco.org/silkroad/sites/silkroad/files/knowledge-bank-article/foreign_documents_and_the_descriptions_of_melaka_between_a.d._1505-1511_0.pdf, p. 1.

(2) D. Hall, *A History of South-East Asia*, The Macmillan Press, London, 1981, p. 224.

(3) B. Andaya, "Malacca" in *Historic Cities of the Islamic World*, Edited by: C. Edmund Bosworth, Brill, Leiden, 2007, p. 309.

(4) *Ibid*.

(5) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 310.

(6) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 310; D. Hall, *Op. cit.*, p. 224; V. Hooker, *A Short History of Malaysia*, Published by Allen and Unwin, Virginia, 2003, p. 60.

(7) Tome Pires, *The Suma Oriental of Tomé Pires, An Account of the East from the Red Sea to Japan, written in Malacca and India in 1512-1515, and The Book of Francisco Rodrigues, Rutter of a Voyage in the Red Sea, Nautical Rules, Almanack and Maps, Written and Drawn in the East before 1515*, By Armando Cortesão, 2 Vol., Asian Educational Services, New Delhi, 2005, p. 231-235*; B. Andaya, Op. cit.*, p. 310.

والواقع أن هذه الرواية قد تكررت في المصادر البرتغالية اللاحقة؛ فالبوكيرك، الذي ألف كتابه عام ١٥٥٧م، يشير إلى القصة نفسها والتاريخ نفسه. أنظر:

A. Albuquerque, *The Commentaries of Alfonso Dalbuquerque, Second Vicerot of India*, Translated from the Portuguese Edition of 1774, Vol. 3, Cambridge University Press, New York, 2010, p. 73-76.

وعلى المنوال نفسه سار باروس في مصنفه، إلا أنه يذكر أن تأسيس المدينة يعود إلى ٢٥٠ سنة قبل وصول البرتغاليين، أي أنه يرجح أن ظهورها كان خلال القرن ٧هـ/١٣م. أنظر:

D. Hall, *Op. cit.*, p. 224

كما يذكر الرحالة كونتي أن المنطقة التي تم فيها تأسيس مدينة وميناء ملقا كانت قبل ذلك وكرا ومقرا للقراصنة. أنظر:

Nicolo de Conti, *Le voyage aux Indes de Nicolo De Conti (1414-1439)*, Traduction de Diane Menard, éd. Chandeigne, Paris, 2004, p. 16.

بينما تشير بعض الروايات إلى أن أول من استوطن ملقا كان مجموعة من الصيادين، جزء منهم ينتمي إلى أصول بنغالية، وأن هؤلاء الصيادين كان مازل لهم وجود بالمدينة مع بداية القرن ١٠هـ/١٦م. أنظر:

D. Perret, "From Slave to King: The Role of South Asian in Maritime Southeast Asia (from the late 13th to the late 17th Century)", in *Archipel*, Vol. 82, Paris, 2011, p. 172-173

(8) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 77.

(9) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 234.

(10) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 310.

(11) A. Wink, *Al-Hind, The Making of the Indo-Islamic World*, Vol. III (*Indo-Islamic Society 14th-15th Centuries*), Brill, Leiden, 2004, p. 216.

(12) L. Thomaz, "La présence iranienne autour de l'Océan indien au XVe siècle d'après les sources portugaises de l'époque", in *Archipel*, Vol. 68, No. 1, 2004, p. 129 ; A. Wink, *Op. cit.*, p. 218.

في الواقع، بالرغم من أن ظهور التجار العرب والهنود المسلمين داخل الأرخبيل يعود إلى عدة قرون سابقة، إلا أن بداية انتشار الإسلام على نطاق واسع في المنطقة إنما يعود إلى نهاية القرن ٧هـ/١٣م. ففي عام ٦٩٢هـ/١٢٩٢م بدأ ظهور حكام مسلمين في مدينتي بيرلاك ***Perlak*** وسامودرا باساي ***Samudra-Pasai***، على الساحل الشمالي الشرقي لسومطرة. أما في شبه جزيرة الملايو فأول ظهور حقيقي للحكم الإسلامي كان في منطقة ***Trengganu Stone***، على الساحل الشرقي لشبه الجزيرة، وهذا الأمر ربما يعود إلى الفترة بين عامي ٧٠٢هـ/١٣٠٣م و٧٨٩هـ/١٣٨٧م. أنظر:

B. Andaya, *Op. cit.*, p. 314

(13) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 242; E. Tong, *Story of Malaca*, Article en Ligne: (http://amsa.com.au/documents/StoryofMalacca.pdf), p. 14; D. Hall, *Op. cit.*, p. 226.

بالرغم من أن بيرس يشير إلى أن مؤسس ملقا هو باراميسفارا وأن إسكندر شاه هو ابنه الذي كان قد أنجبه أثناء إقامته بسنغافورة قبل أن يصل إلى ملقا، إلا أن الرأي الذي يبدو أقرب للصحة هو أن باراميسفارا واسكندر شاه اسمان لشخص واحد قبل وبعد اعتناقه للإسلام. ورغم أن المصادر الصينية تذكر زيارة باراميسفارا للبلاط الصيني عام ١٤١١م، ثم تذكر بعد ذلك زيارة أخرى قام بها ميجات إسكندر شاه عام ١٤١٤م و١٤١٩م، إلا أنه فيما يبدو أن كاتب تلك الأحداث لم يلتق بزائر الملايو أو لم يفهم لغته، فظن أن هذا الحاكم (ميجات اسكندر) مختلفا عن باراميسفارا. وبمطابقة التواريخ التي ورد ذكرها في السجلات الصينية- عن وقت تلك الزيارات- ومقارنتها بما أشار إليه بيرس من أن هذا الحاكم المسلم قد توفي في عمر الثانية والسبعين يمكن التأكيد على أن باراميسفارا واسكندر شاه هما اسمان لشخصية واحدة. أنظر:

R. Winstedt, "The Malay Founder of Medieval Malacca", in *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, Vol. 12, No. ¾, 1948, p. 726-727.

(14) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 240-242; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 77; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 314; A. Wain, "Chinese Muslims and the conversion of

Melaka to Islam", Article en Ligne: http://www.ipedr.com/vol51/009-ICHSC2012-B00024.pdf., p. 36.

مخالفا للرواية التي تم نسبتها لتومي بيرس، يذهب أحد الباحثين للقول إن بلاد الصين وليست مدينة باساي هي التي تسببت في تحويل حاكم ملقا للإسلام. وهو يعتقد أن هناك خطأ قد وقع في نص بيرس، الذي نسب هذا الأمر لمجموعة من التجار من قبل سلطان باساي. ويقول الباحث إن باراميسفارا بعد زيارته لبلاط الامبراطور الصيني عاد إلى بلاده رفقة القائد المسلم تشنغ هي، الذي أحضر معه فتاة صينية مسلمة ذات جمال. وكتكريم للقائد الصيني تزوج حاكم ملقا من هذه الفتاة، التي لعبت دورا مهما في تحويله من الوثنية للإسلام. ويؤكد الباحث وجهة نظره بالقول إنه خلال هذه الفترة كانت بلاد الصين وليست باساي هي التي تفرض هيمنتها التجارية في المنطقة. أنظر:

A. Wain, *Op. cit.*, p. 35-39.

(١٥) إمام حمودي، *دور التجارة والتجار في انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا*، دار الخليج، عمان، ٢٠١٧م، ص ٥٢؛ توماس أرنولد، *الدعوة إلى الإسلام*، (ترجمه إلى العربية وعلق عليه) حسن إبراهيم حسن (وآخرون)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٤١١؛ حسين مؤنس، *أطلس تاريخ الإسلام*، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٣٨١.

(16) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 242; B. Andaya, *Religious Developments*, p. 517; Y. Abu Bakar, *Foreign Documents*, p. 5.

(17) B. Andaya, "Religious Developments in Southeast Asia, c. 1500-1800", in *The Cambridge History of Southeast Asia*, Vol. 1 (From Early Times to c. 1800), edited by: Nicholas Tarling, Cambridge University Press, 2008, p. 517.

جدير بالذكر أن حاكم ملقا وحكام الملايو بصفة عامة عندما كانوا يعتنقون الإسلام كانت رعاياهم تسير على خطاهم، ليس نتيجة قهر أو إرغام على هذا الأمر، وإنما لأن الرعية كانت تنظر إلى هؤلاء الحكام نظرة تقديس واحترام، وأن متابعتهم في مثل هذه الأمور تصبح واجبة. أنظر: محمد مهر علي، *انتشار الإسلام في قارة آسيا*، فصل داخل: الموسوعة الجغرافية للعاتلم الإسلامي، المجلد الأول (انتشار الإسلام)، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ، ص ٢٨٥.

(18) A. Cotterell, *A History of Southeast Asia*, Marshall Cavendish Editions, Singapore, 2014, p. 208; A. Wink, *Op. cit.*, p. 219.

كان يطبق بملقا خلال القرن ٩هـ/١٥م قانونان من قوانين الشريعة؛ الأول منهما يسمى "قانون الحكم بملقا"، وأما الآخر فيسمى "القوانين البحرية لملقا"، وقد تضمن قانون الحكم جميع المسائل المتعلقة بالقوانين الجنائية والمدنية، وقانون الأسرة، والسلطة القانونية للحاكم، والقواعد المتعلقة بالسلوكيات السليمة، والقوانين المتعلقة بالرق، والعقوبات المقدرة على جميع أنواع الجرائم. أما القوانين البحرية فقد كانت تشتمل على القواعد والإجراءات والسلوكيات التي كانت تستخدم في البحر، والتي كان يجب احترامها والتقيد بها من قبل جميع التجار والبحارة سواء أكانوا مسلمين أو غير مسلمين. والواقع أن التشريع الإسلامي كان له تأثير كبير على هذين القانونين المطبقين في السلطنة؛ فعلى سبيل المثال في "قانون ملقا البحري" كان قبطان السفينة بمثابة الإمام (القائد) وكان المرافقون له على متن السفينة بمثابة المأمومين (التابعين). ومن يرتكب جريمة الزنا وهو محصن فإن عقوبته تكون الموت، أما إن لم يكن محصنا فقد كان يجلد مائة جلدة. والأمر نفسه ينطبق على "قانون الحكم" الذي احتوى على العديد من الأحكام المبنية على الشريعة الإسلامية: كاتباع الأوامر الموجودة في القرآن، والسير على قاعدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. هذا بالإضافة إلى أن هذا القانون قد اشتمل على العديد من المصطلحات والأحكام الإسلامية مثل: الإمام، المعلم، الحق تعالى، الثيب، التعذير، الميثاق، وغيرها من المفردات. أنظر: شوقي عبد القوي عثمان، *تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية*، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٥١، يوليو ١٩٩٠م، ص ١٧٦-١٧٧؛

A. Aziz, "The Religious, the Plural, the Secularand the Modern: a brief critical survey on Islam in Malaysia", in *Inter-Asia Cultural Studies*, Vol. 5, N. 3, Routledge, 2004, p. 344.

(١٩) فارتيما، *رحلات فارتيما*، (ترجمة وتعليق) عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م، ص ١٧٤-١٧٥.

(20) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 249-250; H. De Graaf, "South-East Asian Islam to the Eighteenth Century", in *The Cambridge History of Islam*, Vol. 2 A

(The Indian Sub-Continent, South-East Asia, Africa, and the Muslim West), edited by: P. M. Holt, Cambridge University Pres, 2008, p. 126.

(٢١) محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٢٩٣.

(٢٢) السيد علوي، *المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى*، (رتبه وحققه وعلق عليه) السيد محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٥م، ص ٩٣.

تصف لنا حوليلات الملايو هذا القصر الملكي الذي شيده بندهارا للسلطان المنصور شاه؛ فقد استقدم الوزير الأول عمالا من مدينة بنتان لبناء هذا القصر، وقد أشرف على تشييده سبعون عاملا من الحرفيين والنحاتين الماهرين. ويشتمل المبنى على سبعة أبواب، وسقف ذي طبقات سبع، وأعمدة وقباب، وأبراج مذهبة، وقبة نحاسية. أنظر:

V. Hooker, *Op. cit.*, p. 68; D. Perret, "La cité royale dans la littérature traditionnelle malaise: représentation et contribution à l'histoire des cités anciennes du monde malais", in *Aséanie*, 3, 1999, p. 86.

(23) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 251; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 80-81.

(24) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 245; B. Andaya, *Malacca*, p. 314-315.

(25) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 245.

يشير تومي بيرس إلى أن الحكام في تلك المنطقة كانوا يلقبون براجا، باستثناء حكام ملقا وباساي والبنغال فانهم لقبوا بالسلطان. أنظر: Ibid

(26) S. Abdullah, "Effect of Malay-China Trade Relations During the Malacca Sultanate on the Emergence of Chinese Peranakan Community", in *World Journal of Islamic History and civilization*, 3 (4), IDOSI Publications, 2013, p. 143; L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 129; M. Kearney, *The Indian Ocean in World History*, Routledge, London, 2004, p. 95;

إمام حمودي، *المرجع السابق*، ص ١٢٥.

(27) **D. Barbosa, *A Description of the coasts of East Africa and Malabar in the beginning of the sixteenth century*, Notes and a preface by Baron Henry Stanley, London, 1866, p. 191; G. Barton, "Islam, Society, Politics and change in Malaysia", in *Islam in Asia, changing political Realities*, Editor by: Jason Isaacson and Colin Rubenstein, New Jersey, 2002, p. 97; D. Hall, *Op. cit.*, p. 222; P. Church, *A Short History of South-East Asia*, Published by John Wiley and sons, Singapore, 2009, p. 84;**

إمام حمودي، *المرجع السابق*، ص ٥٤، ١٣٣

(٢٨) **في الواقع إن انتشار الإسلام في شمال سومطرة شهد كثيرا من الصعوبات، خاصة مع نهاية القرن ٨هـ/١٤م، بعدما تمكنت مملكة ماجاباهيت- الواقعة في وسط جاوة وشرقيها- من بسط سيطرتها على الأطراف الشمالية لسومطرة، هذا بالإضافة إلى وجود مملكة مينانجكا الوثنية المعادية للإسلام في قلب جزيرة سومطرة. بيد أن الأمور ما لبثت أن شهدت تغيرا كبيرا بعد ظهور سلطنة ملقا الإسلامية، التي أصبحت تملك من القوة والنفوذ- خاصة في عهد السلطانين مظفر شاه ومنصور شاه- ما جعلها قادرة على توحيد جميع أجزاء شبه جزيرة الملايو تحت راية الإسلام، كما أنهم بسطوا سيطرتهم ونشروا الإسلام على الساحل الشرقي لسومطرة، بل وتغلغل الإسلام في مملكة ماجاباهيت نفسها، بما فيها أفراد الأسرة الحاكمة. أنظر: محمد مهر علي، *المرجع السابق*، ص ٢٩٠.**

(29) **A. Ibrahim, *The Malaysian Legal System*, Kuala Lampur, 1995, p. 7-8; Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 6; B. Lawrence, "The Eastward Journey of Muslim Kingship: Islam in Southeast Asia" in *The Oxford History of Islam*, Edited by: J. Esposito, Oxford University Press, 1999, p. 426; H. De Graaf, *South-East Asian Islam*, p. 124; K. Taylor, "The Early Kingdoms", in *The Cambridge History of Southeast Asia*, Vol. 1 (From Early Times to c. 1800), edited by: Nicholas Tarling, Cambridge University Press, 2008, p. 176;**

محمد زيتون، *المسلمون في الشرق الأقصى*، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ١٩٨٥، ص ١٤٥؛ حسين مؤنس، *الإسلام الفاتح*، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، سلسلة "دعوة الحق"، العدد ٤، السنة الأولى، رجب ١٤٠١هـ، ص ٥٥.

في الواقع لدينا العديد من الأمثلة التي تؤكد بوضوح أن تحول ملقا للإسلام قد أعطى زخما كبيرا لتمدد الإسلام وانتشاره في جنوب شرق آسيا: فقد كان أول حاكم مسلم لباهانج ***Pahang*** هو ابن سلطان ملقا. كما أن الإسلام أصبح الديانة الرسمية في ترينجانو ***Trengganu*** لما أصبحت تابعة لملقا. والأمر نفسه ينطبق على باتاني ***Patani*** وكلنتان ***Kelantan***. كما أن هناك إشارة إلى تولية أحد الأمراء المسلمين لحكم كداه ***Kedah*** عام ١٤٧٤م. بروناي كذلك تسرب أليها الإسلام من خلال الاتصالات والعلاقات التجارية مع ملقا. أنظر: D. Hall, ***Op. cit.***, p. 229

(30) B. Andaya, *Religious Developments*, p. 517;

حسين مؤنس، *المرجع السابق*، ص ٥٦؛ السيد علوي، *المرجع السابق*، ص ٩٣؛ ايرا لابيدوس، *تاريخ المجتمعات الإسلامية*، الجزء الأول، (ترجمة) فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١م، ١/٦٤٣.

(٣١) روسني بن سامة، "حضارة اللغة العربية في أرخبيل الملايو"، *مقال بمجلة اللغة العربية*، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد ٢، ٢٠١١م، ص ١٨٨-١٨٩؛ حسين مؤنس، *المرجع السابق*، ص ٥٥، ٥٧؛ السيد علوي، *المرجع السابق*، ص ١٤٤؛ عاصم شحادة علي، "تأثير اللغة الملايوية الوطنية في التعددية اللسانية بماليزيا"، *مقال بمجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية*، المجلد ٢، العدد ٣، أكتوبر ٢٠١٦م، ص ٢٩.

(32) W. Mujani, "The History of the Indian Muslim Community in Malaysia", in *Advances in Natural and Applied Sciences*, 6 (8), 2012, p. 1349; A. Ibrahim, *Op. cit.*, p. 8; M. Kearney, *Op. cit.*, p. 95.

(٣٣) حسين مؤنس، *المرجع السابق*، ص ٥٦.

(34) B. Andaya, *Malacca*, p. 316; J. Meri, *Medieval Islamic Civilization*, Vol. 1, Routledge, New Yourk, 2006, p. 464.

(35) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 317; A. Wink, *Op. cit.*, p. 220.

خلال القرن ٩هـ/١٥م كان سلطان ملقا يفرض سيطرته على أكثر من ١١٠٠ مدينة وقرية، التي كانت تزود المدينة بكل ما تحتاجه من الحبوب والخضروات والفواكه، والقصدير (المستخدم في سك العملات)، بالإضافة إلى الأفيال التي كانت تستخدم في الحروب. هذا فضلا عن الضرائب الكبيرة التي كان يحملها سكان تلك المناطق إلى حاكم ملقا. أنظر:

Tome Pires, *Op. cit.*, p. 260-261; G. Bouchon, "The Indian Ocean in the fifteenth Century", in *India and the Indian Ocean 1500-1800*, Edited by, Ashin Das Gupta and M. Pearson, Oxford University Press, 1987, p. 61

(36) D. Hall, *A History of South-East* Asia, p. 227.

(37) Tome Pires, *The Suma* Oriental, p. 243-244, 263; B. Andaya, *Malacca*, p. 317; A. Wink, *Al-Hind*, p. 220.

(38) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 153, 245; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 79; A. Wink, *Op. cit.*, p. 220; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 317; J. Meri, *Op. cit.*, p. 464.

(39) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 243; D. Hall, *Op. cit.*, p. 226.

(40) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 248; M. Bonneff, "Malaysia", in *Archipel*, Vol. 29, (L'Islam en Indonesie), 1985, p. 69.

(41) D. Hall, *Op. cit.*, p. 227; M. Bonneff, *Op. cit.*, p. 69; E. Tong, *Op. cit.*, p. 14-15.

(42) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 250-251; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 317.

(43) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 253; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 317.

(44) A. Wink, *Op. cit.*, p. 221.

(45) Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 2; ايرا لابيدوس، *المرجع السابق*، ١/٦٤٢-٦٤٣

(46) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 118, 242; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 311; S. Muhammad, "Leadership of Malacca Sultanate Rulers in Establishing Diplomatic Relations", in *Malay Literature*, Vol. 30, N. 2, Publisher: Dewan Bahasa, dan Pustaka, 2017, p. 185.

(47) S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 145; H. Chan, "The Chien-wen, Yung-lo, Hung-his and Hsuan-te reigns, 1399-1435", in *The Cambridge History of China*, Vol. 7 (The Ming Dynasty, 1368-1466), Part 1, edited by: Frederick Mote, Cambridge University Press, 2008, p. 271; S. Muhammad, *Op. cit.*, p. 185;

بشار الجعفري، *أولياء الشرق البعيد، رواية تاريخ حول كيفية انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو*، دار أطلس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢م.، ص ٣٤٣

(48) A. Cotterell, *Op. cit.*, p. 208; D. Hall, *Op. cit.*, p. 225; H. Chan, *Op. cit.*, p. 271.

(49) D. Hall, *Op. cit.*, p. 226.

(50) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 242-243; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 79-80.

(51) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 311; S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 145.

(52) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 242; A. Cotterell, *Op. cit.*, p. 128; D. Hall, *Op. cit.*, p. 225.

تشير بعض المصادر كذلك إلى أن حاكم ملقا راسل الامبراطور الصيني يونغ-لو من أجل السماح له بضم بالمبنج إلى ممتلكاته، إلا أن هذا الأخير ارتأى أن ادعاءات صاحب ملقا عن أحقيته بالحصول على تلك المدينة غير مقبولة، لذلك قرر منحها لصالح حاكم ماجاباهيت. أنظر:

A. Hall, *Op. cit.*,,p. 103, 226

(53) A. Cotterell, *Op. cit.*, p. 207; D. Hall, *Op. cit.*, p. 225; A. Ibrahim, *Op. cit.*, p. 7-8.

(54) A. Cotterell, *Op. cit.*, p. 207; P. Church, *Op. cit.*, p. 84.

(55) A. Cotterell, *Op. cit.*, p. 341; A. Wink, *Op. cit.*, p. 217; S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 145.

(56) D. Hall, *Op. cit.*, p. 225; S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 145; K. Taylor, *Op. cit.*, p. 175; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 71; بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٤٤

(57) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 250; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 311; K. Taylor, *Op. cit.*, p. 175; السيد علوي، المرجع السابق، ص ٩٣

(58) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 311-312.

(59) A. Wink, *Op. cit.*, p. 218.

(60) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 248, 253; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 79; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 312.

(61) D. Hall, *Op. cit.*, p. 227, 197-298.

(62) S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 144-145; S. Muhammad, *Op. cit.*, p. 191.

(63) A. Gupta, "The Maritime Trade of Indonesia: 1500-1800", in *India and the Indian Ocean 1500-1800*, Edited by: Ashin Das Gupta and M. Pearson, Oxford University Press, 1987, p. 250; J. Meri, *Op. cit.*, p. 465.

(64) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 108; D. Hall, *Op. cit.*, p. 225; A. Wink, *Op. cit.*, p. 217; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 312; E. Tong, *Op. cit.*, p. 11.

(65) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 238, 250; P. Church, *Op. cit.*, p. 84; A. Wink, *Op. cit.*, p. 216.

(٦٦) على سبيل المثال، تذكر لنا المصادر أن السلطان منصور شاه كان لديه ثلاث زوجات: أحدهما جاوية، والأخرى أميرة صينية، أما الثالثة فقد كانت سيامية. أنظر: E. Tong, *Op. cit.*, p. 15

(67) A. Wink, *Op. cit.*, p. 216.

(68) D. Hall, *Op. cit.*, p. 198; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 312; Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 2; E. Tong, *Op. cit.*, p. 12; بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٥٠

جدير بالذكر أنه خلال الفترة من ١٤٠٥م وحتى ١٤٣٥م أرسل حكام ملقا إلى بلاط الأمبراطور الصيني حوالي عشرين مبعوثا، لطلب الحماية في مواجهة تهديدات مملكة سيام. أنظر:

S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 145.

(69) D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 191; D. Hall, *Op. cit.*, p. 227; S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 145; Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 2.

في الواقع، لم تتوقف محاولات السياميين للسيطرة على ملقا حتى عهد السلطان محمود شاه، حيث طالبوا هذا الأخير بإعلان ولائه وخضوعه لمملكتهم، إلا أن السلطان رفض هذا الأمر، مؤكدا أن ولاءه سيظل فقط للامبراطور الصيني. ولم تحقق الهجمات السيامية ضد المدينة أي نجاح، بل إن أسطولهم قد تعرض للهزيمة قبالة ***Pulo Pisang***. وهكذا ظل العداء مستحكما بين ملقا وسيام حتى اللحظات الأخيرة من وجود السلطنة، ولم يتوقف إلا مع وصول البرتغاليين لملقا واستيلائهم عليها. أنظر: D. Hall, *Op. cit.*, p. 228

(70) D. Hall, *Op. cit.*, p. 229.

(71) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 245-246; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 312.

(72) K. Taylor, *Op. cit.*, p. 175.

(73) Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 9.

(74) S. Muhammad, *Op. cit.*, p. 185-186, 191.

(75) S. Muhammad, *Op. cit.*, p. 186-187.

(76) Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 5; E. Tong, *Op. cit.*, p. 14; إمام حمودي، *المرجع السابق*، ص ١٢٥

(77) A. Gupata, *Op. cit.*, p. 249.

(78) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313.

(79) V. Hooker, *Op. cit.*, p. 62.

(80) *Ibid.*

(81) V. Hooker, *Op. cit.*, p. 66-67.

(82) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 66.

(83) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313.

(84) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 66, 68; E. Tong, *Op. cit.*, p. 14.

(85) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 264; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 87; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 68; G. Bouchon, *Op. cit.*, p. 61.

(86) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 44; D. Hall, *Op. cit.*, p. 227-228; E. Tong, *Op. cit.*, p. 14-15.

(87) E. Tong, *Op. cit.*, p. 14.

في الواقع ظل تون بيراك هو الوزير الأكبر في ملقا حتى وفاته عام ١٤٩٨م- بعد أن قضى ٤٢ عاما من الخدمة المخلصة لملقا-، ثم خلفه شقيقه تون بوتيه Tun Puteh، الذي استمر عامين فقط في الوزارة وتوفي عام ١٥٠٠م. وكان ذلك إيذانا بظهور نجم تون مطاهير Tun Mutahir- الذي ينتمي إلى مسلمي التاميل- لاستعادة منصب البندهارا مرة أخرى، بعدما كان قد أخذه تون بيراك من والده تون علي. ويعد مطاهير سابع بندهارا يحكم في ملقا، ويمثل عهده بداية النهاية لسلطنة ملقا. أنظر: E. Tong, *Op. cit.*, p. 15

(88) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 59.

(89) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 256; E. Tong, *Op. cit.*, p. 16.

(90) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 66.

(91) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 264-265; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 87; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313.

(92) V. Hooker, *Op. cit.*, p. 68.

(93) V. Hooker, *Op. cit.*, p. 59; B. Lawrence, *Op. cit.*, p. 426; P. Church, *Op. cit.*, p. 84; A. Gupata, *Op. cit.*, p. 249.

(94) L. Thomaz, *The Indian Merchant Communities*, p. 56.

(95) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 286.

(96) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 251; Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 3.

(97) P. Bracciolini, *De l'Inde « les voyages en Asie de Niccolò De' Conti »*, Texte établi, traduit et commenté par Michèle Guéret-Laferté Brepols publishers, Turnhout, 2004, p. 27; G. Bouchon, "Les musulmans du

Kerala à l'époque de la découverte portugaise", in *Etudes et documents sur l'histoire de l'océan Indien et des pays riverains à l'époque de la domination portugaise,* Tome II, Genève, 1973, p. 35; A. Disney, *A History of Portugal and the Portuguese Empire, from beginning to 1807,* Vol. 2 *(The Portuguese Empire*), Cambridge University Press, Cambridge, 2009, p. 130; E. Alpers, "Gujarat and the Trade of East Africa, 1500-1800", in *The International Journal of African Historical Studies,* Vol. 9, No. 1, Published by Boston University African Studies Center, 1976, p. 42; A. Wink, *Op. cit.*, p. 215; D. Hall, *Op. cit.*, p. 225.

(98) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 84; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 311; S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 144.

(99) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 311.

(100) Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 2-3; شوقي عبد القوي عثمان، *المرجع السابق*، ص ١٨٤

(101) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 246, 249; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 312; M. Pearson, "India and the Indian Ocean in the sixteenth Century", in *India and the Indian Ocean 1500-1800,* Edited by: Ashin Das Gupta and M. Pearson, Oxford University Press, 1987, p. 83; P. Church, *Op. cit.*, p. 84.

(102) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 246, 248; S. Muhammad, *Op. cit.*, p. 185; B. Andaya, , *Op. cit.*, p. 312.

(103) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 245; Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 6.

(104) Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 2; E. Tong, *Op. cit.*, p. 12.

(105) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 245; B. Andaya, *Op. cit.*, p. ٣١١; A. Wink, *Op. cit.*, p. 215; بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٥٢

في هذا السياق تذكر Genevieve Bouchon أنه خلال بدايات القرن ٩هـ/١٥م بدأ في الظهور قوتان مهمتان في منطقة المحيط الهندي، اللتان مع مرور الوقت أصبح لهما سيطرة كبيرة على حركة التبادلات التجارية في المنطقة، وهما سلطنة الكوجرات على الساحل الغربي لبلاد الهند،

وسلطنة ملفا في جنوب شبه جزيرة الملايو. هذا الحدثان المهمان مكنا المسلمين لاحقا من السيطرة على طريق التوابل. أنظر:

G. Bouchon, "Trade in the Indian Ocean at the dawn of the sixtennth Century", in *Merchants, Companies and Trade (Europe and Asia in the early modern Era)*, edited by: Sushil Chaudhury, Cambridge University Press, 1999, p. 42.

(106) S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 144; L. Thomaz, *La presence iranienne*, p. 138; ايرا لابيدوس، *المرجع السابق*، ٦٤٢/١

(107) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 285.

(١٠٨) إبراهيم بشمي، *مملكة هرمز "الفقاعة الذهبية"*، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر – المنامة، ١٩٩٤م، ص ٢٨.

(109) P. Bracciolini, *Op. cit.*, p. 27.

(١١٠) يذكر ابن بطوطة أن مراكب الصين على ثلاثة أصناف: الكبار منها تسمى الجنوك، واحدها جنك بجيم معقود مضموم ونون ساكن، والمتوسطة اسمها الزو بفتح الزاي وواو، والصغار اسم أحدها الككم بكافين مفتوحتين. أما الجنوك فتشتمل على اثني عشر قلعا فما دونها إلى ثلاثة. "وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر لا تحط أبدا، ويديرونها بحسب دوران الريح. وإذا أرسوا تركوها واقفة في مهب الريح، ويخدم في المركب منها ألف رجل، منهم البحرية ستمائة، ومنهم أربعمائة من المقاتلة تكون فيهم الرماة وأصحاب الدرق والجرخية، وهم الذين يرمون بالنفط، ويتبع كل مركب كبير منا ثلاثة: النصفي والثلثي والربعي. ولا تصنع هذه المراكب إلا بمدينة الزيتون من الصين". أنظر: ابن بطوطة، *رحلة ابن بطوطة المسماة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"*، ط٢، المطبعة الخيرية، ١٣٢٣ هـ، ١٤٠/٢.

(111) Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 8.

(١١٢) ولعل مما يدلل على هذه الهيمنة التي فرضتها ملقا على سوق التوابل في المنطقة أنه في عام ١٥٠٠م وصل إنتاج القرنفل في المنطقة إلى حوالي ٦٠٠٠ بهار (البهار يزن حوالي ٢١٠ كجم)،

ذهب منها حوالي ٥٠٠٠ إلى ملقا وحدها. وقد قام تجار الكوجرات بنقل حوالي ٧٠٪ من تلك الكمية إلى الغرب باتجاه الساحل الهندي وسواحل البحر الأحمر، كما حمل حوالي ٣٠٠ بهار- أي ما قيمته ٥٪- إلى الأسواق الأوربية. أنظر:

M. Pearson, *The Indian Ocean*, Routledge, London, 2003, p. 83

(113) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 85; G. Bouchon, *Les musulmans du Kerala*, p. 39; S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 144; L. Andaya, "Malay Peninsula", in *The Encyclopedia of Islam*, Vol. VI, edited by: C. E. Bosworth, Brill, Leiden, 1991, p. 234; H. Cons, *Precis d'histoire du commerce*, Tom. 1, Paris, 1896, p. 206-207.

في هذا السياق يذكر هايد أن ملقا كانت تعد السوق الأكبر والمركز الأهم الذي تتجمع فيه التوابل- خاصة الفلفل والزنجبيل والقرفة- من شتى أنحاء المحيط الهندي، ثم من هناك توزع على جميع بلدان العالم، وهو الأمر الذي دفع هايد للقول: "وكانت ملقا تعتبر آنذاك أوسع سوق في منطقة الهند، بل وفي العاللم بأسره". أنظر: هايد، *تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، (مراجعة وتقديم) عز الدين فوده، ٤ ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥-١٩٩٤م، ٤/٢٩-٣٠، ٤٣.

(114) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313.

(115) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 269.

(١١٦) فارتيما، *المصدر السابق*، ص ١٧٥.

(117) D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 191.

يشير Depping إلى أنه بالرغم من أن ملقا كانت هي الميناء الأول الذي تصل إليه توابل مدن وجزر جنوب شرق أسيا، ثم من بعد ذلك كانت تتنتقل إلى الموانيء الهندية فموانيء الشرق الأوسط فأوروبا، إلا أن أسعار التوابل في أسواق ملقا كانت مرتفعة جدا قياسا بأسعارها في جزر الملوك (المصدر الأول للتوابل)؛ فالقرنفل على سبيل المثال كان يباع البهار منه في الجزر المنتجة له بمبلغ

يتراوح بين دوكة إلى دوكتين، بينما كان سعره في أسواق ملقا يصل إلى أربع عشرة دوكات. ولعل هذا الأمر هو الذي يفسر لنا الثراء الكبير الذي كان عليه كبار التجار داخل ملقا. أنظر:

G. Depping, *Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe*, Tome I, Paris, 1830, p. 44.

(118) L. Thomaz, *The Indian Merchant Communities*, p. 56-57; E. Tong, *Op. cit.*, p. 14.

في الحقيقة بالرغم من أن سكان ملقا الأصليين لم تكن لديهم المهارة والقدرة على الانخراط في حركة التجارة الدولية، إلا أنهم لم يحرموا من أن يكون لهم نصيب من الأرباح الكبيرة التي كانت تتحقق من وراء تلك الرحلات التجارية؛ فمن الأشياء التي كانت معهودة في فترة حكم سلاطين ملقا أن يقوم الأهالي بإعطاء صاحب السفينة التجارية مبلغا من المال على سبيل القرض، وفي المقابل كان هذا الأخير يقوم برد تلك المبالغ لأصحابها مع منحهم "نسبة فائدة"، التي كانت تقدر وتختلف بحسب المكان المتجهة إليه السفن. أنظر: L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 61-62

من ناحية أخرى، كان يوجد بملقا طائفة من صغار التجار الملايويين، الذين كانوا يقومون ببيع أو مقايضة عدد من السلع والبضائع البسيطة أمام منازلهم، وفي بعض الأكشاك المشيدة على الجسر– أعلى نهر ملقا–، وأحيانا كانوا يمارسون عملية البيع والشراء في السوق الرئيس للمدينة. كما أنه أحيانا كان يقوم هؤلاء التجار المحليين بحمل البضائع الواصلة لملقا إلى بعض المناطق القريبة في الأرخبيل، وذلك بواسطة القوارب الصغيرة. أنظر:

B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 64.

(119) D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 191; P. Church, *Op. cit.*, p. 84; L. Thomaz, *La presence iranienne*, p. 129; B. Andaya, *Religious Developments*, p. 517; L. Andaya, *Op. cit.*, p. 234-235.

ومما يذكر عن ثراء هؤلاء التجار أن أموالهم كانت لا تقاس إلا ببهار الذهب، حيث يساوي كل بهار أربعة قناطير، وقد كانت لدى البعض منهم القدرة على شحن عدة سفن بالسلع غالية الثمن من ممتلكاتهم الخاصة. وقد اتسمت عيشة كبار التجار في ملقا بالرفاهية؛ حيث كانوا يمتلكون البيوت

الفخمة والحدائق والبساتين، بالإضافة إلى كثير من العبيد. أنظر: شوقي عبد القوي عثمان، *المرجع السابق*، ص ١٨٨.

(120) V. Hooker, *Op. cit.*, p. 70; W. Mujani, *Op. cit.*, p. 1349.

(121) L. Thomaz, *The Indian Merchant Communities*, p. 57.

(122) L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 57-58; L. Thomaz, "Les Portugais dans les mers de l'Archipel au XVIe siècle", in *Archipel*, Vol. 18, 1979, p. 114; G. Bouchon, *The Indian Ocean*, p. 64; K. Taylor, *Op. cit.*, p. 175.

في الواقع، مع نهاية القرن ٩هـ وبداية ١٠هـ أصبحت هناك هيمنة وسيطرة كبيرة من جانب تجار الكوجرات على تجارة المحيط الهندي بصفة عامة؛ إذ إنهم قد استفادوا من تراجع الوجود العربي في المنطقة- خاصة بعد ظهور البرتغاليين على الساحل الهندي- إلى جانب الانسحاب الصيني من المنطقة- في عهد أسرة مينج وتحديدا علم ١٤٣٣م- ومن ثم توقف الحملات الصينية التي كانت سابقا ترتاد معظم سواحل ومواني المحيط الهندي. أنظر:

G. Bouchon, "Trade in the Indian Ocean at the dawn of the sixtennth Century", in *Merchants, Companies and Trade (Europe and Asia in the early modern Era)*, edited by: Sushil Chaudhury, Cambridge University Press, 1999, p. 43; O. Prakash, *The New Cambridge History of India, Vol. 2, (European Commercial Enterprise in Pre-Colonial India)*, Cambridge University Press, 1998, p. 15; A. Gupta, *Op. cit.*, p. 247.

(123) O. Prakash, *Op. cit.*, p. 15; A. Gupta, *Op. cit.*, p. 247.

(124) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 193 (marge 1); L. Thomaz, *The Indian Merchant Communities*, p. 57; G. Bouchon, *Trade in Indian Ocean*, p. 48; W. Mujani, *Op. cit.*, p. 1349.

(125) L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 57; W. Mujani, *Op. cit.*, p. 1349.

(126) L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 58; G. Bouchon, *Op. cit.*, p. 48; L. Thomaz, *Les Portugais dans les mers de l'Archipel*, p. 114.

هناك إشارات إلى أن أحد كبار التجار التاميل داخل ملقا، ويدعى نينا سوريا ديفا، كان يسيطر على التجارة التي تربط ملقا بباندا وجزر الملوك؛ فقد كان يرسل سنويا إلى هذه الجهات ثماني سفن تجارية، في حين أن التجار الجاويين كانوا يرسلون ثلاث أو أربع سفن فقط. أنظر:

L. Thomaz, *Les Portugais dans les mers de lArchpel*, p. 115

(127) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 45.

(128) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 254-255; L. Thomaz, *The Indian Merchant Communities*, p. 59.

(129) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 255; L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 59.

(130) D. Perret, *From Slave to King*, p. 170.

(131) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 44-45, 97-98; L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 59; R. Wilkinson, "The Capture of Malacca, A. D. 1511", in *Journal of the Straits Branch of the Royal Asiatic Society*, N. 61, 1912, p. 72; B. Diffie, *Foundations of the Portuguese Empire 1415-1580*, Published by the University of Minnestota, Minnestota, 1977, p. 262.

(132) L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 58; G. Bouchon, "Les musulmans du Kerala à l'époque de la découverte portugaise", in *Etudes et documents sur l'histoire de l'océan Indien et des pays riverains à l'époque de la domination portugaise*, Tome II, Genève, 1973, p. 40; L. Thomaz, *Les Portugais dans les mers de l'Archipel*, p. 114; M. Pearson, *India and the Indian Ocean*, p. 76; هايد، *المرجع السابق*، ٣٧٩/٣

(133) L. Thomaz, *The Indian Merchant Communities*, p. 58 ; H. Cordier, "Relations de l'Europe et de l'Asie avant et apres le voyage de Vasco de Gama", *Extrat des comptes rendus de la societe de geographie N. 4 (1896)*, Paris, 1898, p. 2 ; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 62.

في الواقع، نال القماش الهندي مكانة كبيرة في أسواق ملقا وكان مفضلا على المنتج المحلي، وذلك بسبب ألوانه الزاهية وتصميماته وأشكاله الجميلة، بالإضافة إلى جودة النسيج المستخدم في

صناعته. وينسب إلى السلطان محمود شاه أنه أرسل بعثة إلى جنوب الهند للحصول على "أربعين نوعا من الأقمشة النادرة". أنظر:

A. Reid, "Economic and Social Change, c. 1400-1800", in *The Cambridge History of Southeast Asia*, Vol. 1 (From Early Times to c. 1800), edited by: Nicholas Tarling, Cambridge University Press, 2008, p. 471.

(134) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 45, 47, 270; O. Prakash, *Op. cit.*, p. 15; G. Bouchon, *The Indian* Ocean, p. 60.

(135) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 45.

(136) *Ibid*.

(137) L. Thomaz, *Les Portugais dans les mers de l'Archipel*, p. 114.

(138) A. Gupta, *Op. cit.*, p. 245; S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 144.

(139) S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 145; M. Kearney, *Op. cit.*, p. 95.

(140) D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 191.

(١٤١) يذكر القلقشندى أن الدوكات عبارة عن دنانير كانت تأتي من مدينة البندقية الايطالية، وهي معلومة الأوزان؛ "كل دينار منها معتبر بتسعة عشر قيراطا ونصف قيراط من المصري... وهذه الدنانير مشخصة على أحد وجهيها صورة الملك الذي تضرب في زمنه، وعلى الوجه الآخر صورتا بطرس وبولس الحواريين". وقد سميت بالدوكات لأن الملك عندهم اسمه ودك. أنظر: القلقشندى، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، (شرح وتعليق) محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية - بيروت، (د.ت)، ٥٠٨/٣.

)142(D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 207.

)143(Tome Pires, *Op. cit.*, p. 123.

)144(D. Thiam Soon, "The Trade in Lakawood Products between South China and the Malay World from the Twelfth to Fifteenth Centuries AD", in *Journal of Southeast Asian Studies*, N. 32 (2), June 2001, Printed in the United Kingdom, p. 146.

)145(**L. Bouvat, "Essai sur la civilisation timouride", in *Journal asiatique*, No. Avril-Juin 1926, Paris, 1926, p. 283.**

)146(**A. Wink, *Op. cit.*, p. 218; A. Gupta, *Op. cit.*, p. 247.**

)147(**G. Bouchon, *The Indian Ocean*, p. 54.**

)148(**S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 144-145; W. Mujani, *Op. cit.*, p. 1349.**

)149(**D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 194.**

)150(**D. Hall, *Op. cit.*, p. 230.**

)151(**A. Wink, *Op. cit.*, p. 217.**

في الواقع عندما كانت جاوة خاضعة لنفوذ ماجاباهيت لم تكن علاقاتها مع ملقا على ما يرام، وسبب ذلك رغبة كلا الطرفين في التوسع والتمدد على حساب الطرف الآخر. بيد أن الأمور تغيرت تماما عندما تمكنت الموانيء البحرية الجاوية من نيل استقلالها عن دولة ماجاباهيت (التي تراجع نفوذها إلى المناطق الداخلية بعيدا عن الساحل)، ثم بدأت تتحول جاوة للدين الإسلامي بتأثير من دعاة ملقا، ومن ثم بدأت مرحلة وثام وصداقة بين الجانبين. أنظر:

A. Wink, *Op. cit.*, p. 216

)152(**D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 191-192; D. Hall, *Op. cit.*, p. 243; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 63; G. Depping, *Op. cit.*, p. 43; A. Gupata, *Op. cit.*, p. 249.**

)153(**D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 192; Tome Pires, *Op. cit.*, p. 213; V. Godinho, *L'économie de l'empire portugais aux XV^e^ et XVI^e^ siècles*, Paris, 1969, p. 589.**

)154(**D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 220.**

)155(**D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 192; Tome Pires, *Op. cit.*, p. 204; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 63.**

)156(**M. Pearson, *The Indian Ocean*, p. 86 ; L. Thomaz, *Les Portugais dans les mers de l'Archpel*, p. 120.**

(157) L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 120; A. Reid, *Op. cit.*, p. 471; فارتيما، *المصدر السابق*، ص ١٧٥

(158) D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 184.

ميناء ملقا كان يستقبل سنويا حوالي ثلاثين سفينة محملة بالأرز كانت تصل من بيجو وسيام، أما جاوة فكان يصل منها سنويا من خمسين إلى ستين سفينة، يصل متوسط حمولتها إلى ثلاثين طنا. أنظر: A. Reid, *Op. cit.*, p. 471.

(159) G. Bouchon, *Trade in Indian Ocean*, p. 45.

(160) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 92, 107; D. Hall, *Op. cit.*, p. 243; M. Pearson, *India and the Indian Ocean*, p. 77.

(161) P. Bracciolini, *Op. cit.*, p. 28; Tome Pires, *Op. cit.*, p. 269; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 100; السيد علوي، *المرجع السابق*، ص ٢١٤

(162) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 46; Nicolo de Conti, *Op. cit.*, p. 20; O. Prakash, *Op. cit.*, p. 15; L. Thomaz, *La presence iranienne*, p. 130; D. Hall, *Op. cit.*, p. 228.

(163) Nicolo de Conti, *Op. cit.*, p. 20; V. Godinho, *Op. cit.*, p. 573.

(164) H. De Graaf, *Op. cit.*, p. 128.

(165) R. Ptak, "Notes on the Word *Shanhu* and Chinese Coral Imports from Maritime Asia c. 1250-1600", in *Archipel*, Vol. 39, 1990, p. 73-74.

(166) S. Subrahmanyam, *L'empire portugais d'Asie, 1500-1700, une histoire économique et politique*, Paris, 1999, p. 29.

(167) F. Danvers, *The Portuguese in India*, 2 Vol., London, 1894, 1/124؛ هايد، *المرجع السابق*، ٤/٣٠

(168) B. Andaya, *Malacca*, p. 311 ; G. Bouchon, *Les musulmans du Kerala*, p. 40.

(169) L. Thomaz, *The Indian Merchant Communities*, p. 56; M. Pearson, *The Indian Ocean*, p. 101.

في الحقيقة اشتهر سلاطين ملقا بالغنى والثراء، وكانت لهم ثروات وممتلكات ضخمة. وفي هذا السياق يذكر بربوزا أن ملك ملقا "لديه الكثير من الكنوز". (D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 194). كما أن تومي بيرس يقول إن السلطان منصور شاه كان يمتلك ثروة كبيرة، منها مائة وعشرون قنطارا من الذهب، بالإضافة إلى كميات كبيرة من الأحجار الكريمة. (Tome Pires, *Op. cit.*, p. 249–250). وكذلك تشير بعض المصادر إلى أن ثروة السلطان علاء الدين رعاية شاه قد قدرت بمائة وأربعين قنطارا من الذهب. (A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 80).

(170) Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 8.

(١٧١) لعل الاسم الوحيد لشهبندر التجار الكوجرات الذي حفظته لنا الوثائق، والذي قام بشغل المنصب مع بداية القرن ١٠هـ/١٦م، هو ناخودا بيغاوان Nakhoda Begawan، الذي كان له تأثير ديني كبير داخل بلاط السلطان محمود شاه. وقد لعب بيغاوان دورا مهما أثناء وصول البرتغاليين إلى ملقا عام ١٥٠٩م. أنظر: D. Perret, *Op. cit.*, p. 185

(172) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 265; D. Hall, *Op. cit.*, p. 228; E. Alpers, "Gujarat and the Trade of East Africa, 1500-1800", in *The International Journal of African Historical Studies*, Vol. 9, No. 1, Published by Boston University African Studies Center, 1976, p. 30.

(١٧٣) شوقي عبد القوي عثمان، *المرجع السابق*، ص ١٧٦.

(174) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313; L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 57-58; V. Hooker, *Op. cit.*, p. 63; E. Alpers, *Op. cit.*, p. 30.

(175) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 275; G. Bouchon, *The Indian* Ocean, p. 60; A. Reid, *Op. cit.*, p. 485; Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 4.

(176) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 93-94; S. Abdullah, *Op. cit.*, p. 144; G. Bouchon, *Op. cit.*, p. 60.

(177) D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 194.

في الواقع تعددت وتنوعت مصادر دخل سلاطين ملقا، فإلى جانب أموال الضرائب المفروضة على التجارة، التي تمثل المصدر الأول للخزينة الملكية، فإن هؤلاء السلاطين كانوا يتحصلون على الأموال من عدة مصادر أخرى؛ منها الرسوم والضرائب المستحقة على التراخيص وبيع الأراضي والعقارات؛ إذ إنه لم يكن بالإمكان إتمام عقد بيع منزل أو حديقة إلا برخصة وإذن من السلطان أو بندهارا (الوزير الأول). كما أن هناك ضرائب كانت تجبى من السكان الذين كانت لهم تجارة واستثمارات خاصة، وهناك غرامات كانت تفرض على المخالفين لقوانين الدولة، هذا بالإضافة إلى الحصول على نصف ممتلكات المتوفين، وقد يصل الأمر بالحصول على جميع الممتلكات في حالة عدم وصية المتوفى لوارث من بعده. ويمكن كذلك إضافة أموال الضرائب التي كانت تصل إلى بلاط السلطان من المدن التابعة لملقا. أنظر:

Tome Pires, *Op. cit.*, p. 2٥1, 260-261; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 87; A. Gupta, *Op. cit.*, p. 249; Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 3; L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 63

(178) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 99, 273; Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 3; B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313; شوقي عبد القوي عثمان، *المرجع السابق*، ص ١٧٧

(179) Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 4.

(180) *Ibid.*

(181) Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 4.

(182) Tome Pires, *Op. cit.*, p. 273; Y. Abu Bakar, *Op. cit.*, p. 4.

(183) B. Andaya, *Op. cit.*, p. 313.

(184) M. Mahn-Lot, "Conceptions geographiques et decouverte : La question des Moluques jusau en 1521", in *Archipel*, Vol. 22, 1981, p. 80 ; B. Diffie, *Op. cit.*, p. 245.

(185) M. Newitt, *A History of Portuguese Overseas Expansion, 1400-1668*, Routledge, London, 2005, p. 78; A. Reid, *Op. cit.*, p. 488.

(186) F. Danvers, *Op. cit.*, 1/118, 143; هايد، *المرجع السابق*، ٤٢/٤

(187) A. Disney, *Op. cit.*, p. 128.

في الواقع، كان لدى ألميدا نائب الملك البرتغالي بالهند رغبة أكيدة في توسيع الممتلكات البرتغالية باتجاه منطقة الملايو، إلا أن انشغال هذا القائد بالتصدي للتحالف الذي حاول القيام به سلاطين مصر المماليك مع دولة الكوجرات المسلمة أثناه عن تنفيذ التعليمات الملكية بفتح علاقات تجارية مع ملقا وسري لانكا، حتى أتت حملة سكويرا التي حاولت تنفيذ هذا المشروع على أرض الواقع. أنظر: M. Newitt, *Op. cit.*, p. 73

(188) A. Disney, *Op. cit.*, p. 131; B. Diffie, *Op. cit.*, p. 245; M. Newitt, *Op. cit.*, p. 73; هايد، *المرجع السابق*، ٤٢/٤

(189) R. Wilkinson, *Op. cit.*, p. 72.

(190) B. Diffie, *Op. cit.*, p. 245-246; L. Thomaz, *Les Portugais dans les mers de l'Archipel*, p. 114.

(١٩١) يبدو أن البوكيرك كانت قد وصلته آنذاك أخبار باستعدادات السلطة المملوكية لأرسال أسطول بحري من السويس باتجاه السواحل الهندية لمساعدة مدينة جوا في التصدي للبرتغاليين، لذلك قرر أن يحتفظ بهذا الأسطول للتصدي للهجوم المملوكي المتوقع وتأجيل توجهه إلى ملقا لوقت آخر. أنظر:

A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 50; F. Danvers, *Op. cit.*, 1/203

(192) R. Wilkinson, *Op. cit.*, p. 73; F. Danvers, *Op. cit.*, 1/218; A. Disney, *Op. cit.*, p. 131; M. Newitt, *Op. cit.*, p. 78.

(193) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 51-52, 54, 66; R. Wilkinson, *Op. cit.*, p. 73; M. Newitt, *Op. cit.*, p. 78; F. Danvers, *Op. cit.*, 1/218; B. Diffie, *Op. cit.*, p. 255, 257.

(194) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 127-128; M. Newitt, *Op. cit.*, p. 78.

في الحقيقة، لما استولى البرتغاليون على ملقا وجدوا بها عددا كبيرا من المدافع والأسلحة النارية الأخرى؛ من بينها بنادق صغيرة مصنوعة من الحديد، وبنادق مصنوعة من البرونز المصبوب، إلى

جانب المدافع الطويلة والمتوسطة. وقد اعتقد البرتغاليون أن تلك الأسلحة وصلت إلى ملقا من بيجو وسيام. كما ذكر أحد الإيطاليين- الذي كان ضمن الأسطول البرتغالي المهاجم للمدينة- وجود "مدفع ثقيل" في المدينة تسبب في خسائر كبيرة في الأرواح البرتغالية. أنظر:

L. Andaya, "Interactions with the Outside World and Adaptation in Southeast Asia Society, 1500-1800", in *The Cambridge History of Southeast Asia*, Vol. 1 (From Early Times to c. 1800), edited by: Nicholas Tarling, Cambridge University Press, 2008, p. 384-385.

(195) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 105; D. Perret, *Op. cit.*, p. 170.

(196) L. Thomaz, *La presence iranienne*, p. 130.

(197) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 66-67; F. Danvers, *Op. cit.*, 1/222; B. Diffie, *Op. cit.*, p. 257.

(198) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 66-69.

في هذا السياق يذكر البوكيرك أن شهبندر الكوجرات- الذي كانت تربطه علاقة وثيقة بالسلطان محمود، والذي كان يعلم مدى التهديد والأخطار التي ستلحق بتجارة بلاده في حالة تمكن البوكيرك من السيطرة على المدينة- كان له دور في إذكاء نار العداوة بين البرتغاليين وبين السلطان؛ فقد نصح هذا الأخير بعدم الدخول في صداقة مع هؤلاء الأوربيين، الذين أتوا لتدمير بلاده، والقضاء على جميع المسلمين. كما أنه أخبره بأن الأسطول البرتغالي لن يستطيع المكوث طويلا أمام المدينة، وأنه مع هبوب الرياح الموسمية سيضطر لمغادرة المنطقة باتجاه الساحل الهندي. أنظر:

A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 70.

(١٩٩) فقد وصف هؤلاء الجنود المدافعون عن مدينتهم بأنهم "الرجال الأكثر شجاعة، المدربون جيدا على خوض الحروب، والمزودون بكل أنواع الأسلحة". أنظر:

L. Andaya, *Op. cit.*, p. 385

(٢٠٠) يشير أحد الباحثين إلى أن جودة السفن البرتغالية ومرونتها كان لها دور كبير في تحقيق الانتصار والاستيلاء على المدينة رغم حصانتها وبسالة المدافعين عنها؛ فقد كانت لتلك السفن قدرة كبيرة على المناورة، وتغيير مواقعها بكل سهولة، وإنزال الجنود إلى البر بكل دقة وسلاسة. أنظر:

M. Newitt, *Op. cit.*, p. 78

(201) D. Barbosa, *Op. cit.*, p. 194-195; A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 127; F. Danvers, *Op. cit.*, 1/223-228; R. Wilkinson, *Op. cit.*, p. 74-76.

(202) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 128.

(203) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 131-134; F. Danvers, *Op. cit.*, 1/229; D. Hall, *Op. cit.*, p. 366.

(204) "La Chronologie historique de Timor oriental", in L. Thomaz, *Archipel (En Ligne), Etudes interdisciplinaires sur le monde insulindien*, N. 93, Paris, 2017, p. 200.

(205) L. Thomaz, *Op. cit.*, p. 200; A. Gupata, *Op. cit.*, p. 251.

(٢٠٦) ريشارد هول، *أمبراطوريات الرياح الموسمية*، مركز الإمارات للدراسات الاسترتيجية، أبو ظبي، ١٩٩٩م، ص ٣٠٧؛

Konstam, *Les explorateurs et les grandes découvertes*, traduit par Manuel Boghossian, éd. Solar, Paris, 2001, p. 70 ; H. Cordier, *Op. cit.*, p. 3.

(207) A. Disney, *Op. cit.*, p. 132, 184; B. Diffie, *Op. cit.*, p. 260.

(208) H. De Graaf, *Op. cit.*, p. 126.

(209) G. Barton, *Op. cit.*, p. 99-100.

(210) A. Albuquerque, *Op. cit.*, p. 118; A. Cotterell, *Op. cit.*, p. 208;

بشار الجعفري، *المرجع السابق*، ص ٣٦٦؛ سونيا هاو، *في طلب التوابل*، (ترجمة) محمد عزيز رفعت، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢١٨.

(211) B. Andaya, *Religious Developments*, p. 521.

(212) **M. Barry, « Le sens des découvertes », dans *Revue des deux mondes, (Portugal proue de l'Europe)*, mars 2000, p. 47 ; H. Cordier, *Op. cit.*, p. 3; سونيا هاو، *المرجع السابق*، ص ٢٢٢**

(٢١٣) **محمود شاكر، *الكشوف الجغرافية، دوافعها وحقيقتها*، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م، ص ٢٩؛ سونيا هاو، *المرجع السابق*، ص ٢٢٢.**

(214) **A. Cotterell, Op. cit., p. 209; J. Meri, Op. cit., p. 464; هايد، المرجع السابق، ٤/٢٩-٣٠، ٤٣**

الملاحق

ملحق (١)

قائمة بأسماء حكام سلطنة ملقا

اسم الحاكم	سنوات حكمه
باراميسفارا (ميجات إسكندر شاه)	توفي ٨٢٨هـ/١٤٢٤م
محمد شاه (سري مهراجا)	٨٢٨-٨٤٨هـ/١٤٢٤-١٤٤٤م
السلطان مظفر شاه (راجا قاسم)	٨٤٨-٨٦٤هـ/١٤٤٤-١٤٥٩م
السلطان منصور شاه	٨٦٤-٨٨٢هـ/١٤٥٩-١٤٧٧م
السلطان علاء الدين رعاية شاه	٨٨٢-٨٩٤هـ/١٤٧٧-١٤٨٨م
السلطان محمود شاه	٨٩٤-٩١٧هـ/١٤٨٨-١٥١١م

نقلا عن:

E. Tong, *Story of Malacca*, p. 13.

ملحق (٢)

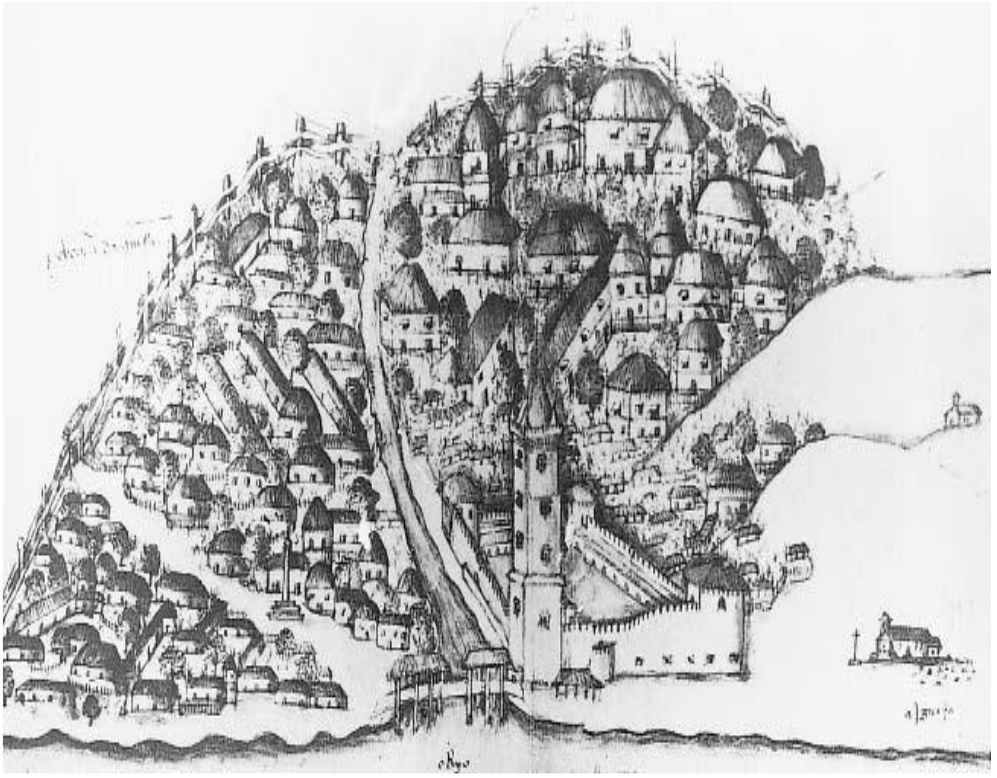

مدينة ملقا كما تصورها البرتغاليون عام ١٥١٥م (يظهر فيها مساكن طبقة الصفوة على اليمين ومساكن العامة من السكان على يسار نهر ملقا الفاصل بين الجانبين)

نقلا عن:

V. Hooker, *A Short History of Malaysia*, p. 74

ملحق (٣)

خريطة توضيحية لملقا وأهم مدن وجزر جنوب شرق آسيا

نقلا عن:

A. Wink, *Al-Hind, The Making of the Indo-Islamic World*, p. 30

ملحق (٤)

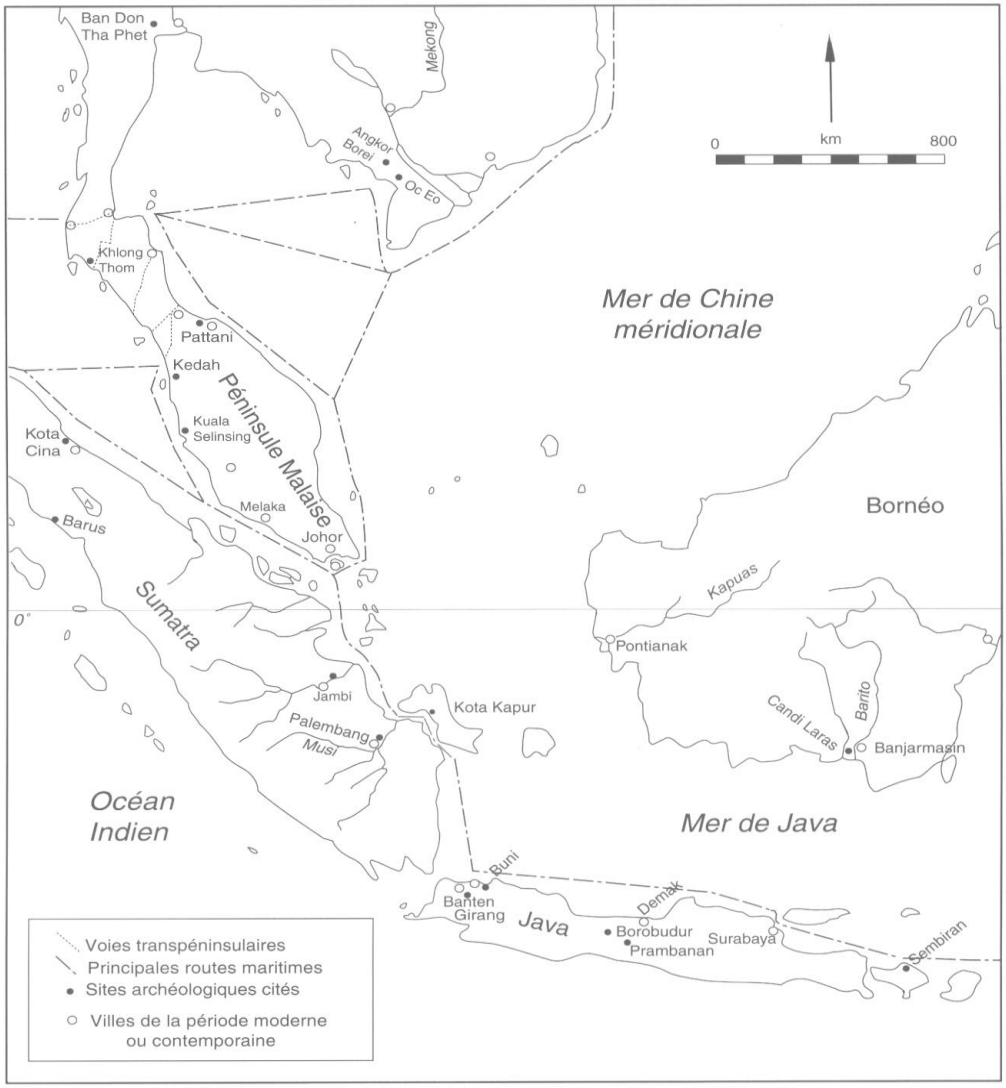

ريطة تبين أهم الطرق التجارية البحرية في جنوب شرق آسيا

(يظهر فيها المكانة المميزة لملقا بتحكمها في المضيق)

نقلا عن:

P. Manguin, Les cite-Etats de l'Asie du Sud-East cotiere, in *Bulletin de l'Ecole française d'Extrême-Orient*, Tome 87, N. 1, 2000, p. 152.

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية والمعربة:

ابن بطوطة (ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي)، *رحلة ابن بطوطة المسماة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*، ط٢، المطبعة الخيرية، ١٣٢٣ هـ.

فارتيما، *رحلات فارتيما*، (ترجمة وتعليق) عبد الرحمن عبد الله الشيخ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.

القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي)، *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، (شرح وتعليق) محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت، (د.ت).

ثانيا: المراجع العربية والمعربة:

ارنولد (توماس)، *الدعوة إلى الإسلام*، (ترجمه إلى العربية وعلق عليه) حسن إبراهيم حسن (وآخرون)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٠م.

بشمي (إبراهيم)، *مملكة هرمز "الفقاعة الذهبية"*، مؤسسة الأيام للصحافة والنشر، المنامة، ١٩٩٤م.

الجعفري (بشار)، *أولياء الشرق البعيد، رواية تاريخ حول كيفية انتشار الإسلام في أرخبيل الملايو*، دار أطلس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢م.

الحداد (السيد علوي بن طاهر)، *المدخل إلى تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى*، (رتبه وحققه وعلق عليه) السيد محمد ضياء شهاب، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٥م.

حمودي (إمام الشافعي محمد) وغنيمات (قاسم محمد)، *دور التجارة والتجار في انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا*، دار الخليج، عمان، ٢٠١٧م.

زيتون (محمد محمد)، *المسلمون في الشرق الأقصى (الفلبين-أندونيسيا-ماليزيا)*، دار الوفاء للطباعة والنشر-المنصورة، ١٩٨٥.

ابن سامة (روسني)، "حضارة اللغة العربية في أرخبيل الملايو"، *مقال بمجلة اللغة العربية*، تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، العدد ٢، ٢٠١١م، الصفحات (١٨٥-٢٠٤).

شاكر (محمود)، *الكشوف الجغرافية، دوافعها-حقيقتها*، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨م.

عثمان (شوقي عبد القوي)، *تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية*، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٥١، يوليو ١٩٩٠م.

علي (عاصم شحادة)، "تأثير اللغة الملايوية الوطنية في التعددية اللسانية بماليزيا"، *مقال بمجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية*، المجلد ٢، العدد ٣، أكتوبر ٢٠١٦م، الصفحات (٢٤-٤٦).

علي (محمد مهر)، "انتشار الإسلام في قارة آسيا: في شمالي الهند، هضبة الدكن وجنوبي الهند، بنجلاديش وغربي البنغال، جنوب شرق آسيا والصين"، *فصل داخل: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي*، المجلد الأول (انتشار الإسلام)، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩هـ، (ص ٢١٧-٣٣٦).

لابيدس (ايرا)، *تاريخ المجتمعات الإسلامية*، الجزء الأول، (ترجمة) فاضل جتكر، دار الكتاب العربي، بيروت، ٢٠١١م.

مؤنس (حسين)، *الإسلام الفاتح*، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، سلسلة "دعوة الحق"، العدد ٤، السنة الأولى، رجب ١٤٠١هـ.

--------، أطلس *تاريخ الإسلام*، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٧.

هاو (سونيا)، *في طلب التوابل*، (ترجمة) محمد عزيز رفعت، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧.

هايد (ف)، *تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى*، (مراجعة وتقديم) عز الدين فوده، ٤ ج، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥-١٩٩٤م.

هول (ريتشارد)، *امبراطوريات الرياح الموسمية*، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية- أبو ظبي، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

ثالثا: المصادر الغربية:

Albuquerque (Alfonso de), *The Commentaries of Alfonso Dalbuquerque, Second Vicerot of India*, Translated from the Portuguese Edition of 1774, Vol. 3, Cambridge University Press, New York, 2010.

Barbosa (Duarte), *A Description of the coasts of East Africa and Malabar in the beginning of the sixteenth century*, Notes and a preface by Baron Henry Stanley, London, 1866.

Bracciolini (Poggio), *De l'Inde « les voyages en Asie de Niccolò De' Conti »*, Texte établi, traduit et commenté par Michèle Guéret-Laferté, éd. Brepols publishers, Turnhout, 2004.

De Conti (Nicolo), *Le voyage aux Indes de Nicolo De Conti (1414-1439)*, Traduction de Diane Menard, éd. Chandeigne, Paris, 2004.

Pires (Tomé), *The Suma Oriental of Tomé Pires, An Account of the East from the Red Sea to Japan, written in Malacca and India in 1512-1515, and The Book of Francisco Rodrigues, Rutter of a Voyage in the Red Sea, Nautical Rules, Almanack and Maps, Written and Drawn in the East before 1515*, By Armando Cortesão, 2 Vol., Asian Educational Services, New Delhi, 2005.

رابعا: المراجع والدوريات الغربية:

Abdullah (Suhaila), "Effect of Malay-China Trade Relations During the Malacca Sultanate on the Emergence of Chinese Peranakan Community", in *World Journal of Islamic History and civilization*, 3 (4), IDOSI Publications, 2013, pp. 143-149.

Abu Bakar (Yahaya), "Foreign Documents and the Descriptions of Melaka between A. D. 1505-1511", Article en Ligne: https://en.unesco.org/silkroad/sites/silkroad/files/knowledge-bank-article/foreign_documents_and_the_descriptions_of_melaka_between_a.d._1505-1511_0.pdf

Alpers (Edward A.), "Gujarat and the Trade of East Africa, 1500-1800", in *The International Journal of African Historical Studies*, Vol. 9, No. 1, Published by Boston University African Studies Center, 1976, pp. 22-44.

Andaya (Barbara Waston), "Malacca" in *Historic Cities of the Islamic World*, Edited by: C. Edmund Bosworth, Brill, Leiden, 2007, pp. 309-318.

--------, "Religious Developments in Southeast Asia, c. 1500-1800", in *The Cambridge History of Southeast Asia*, Vol. 1 (From Early Times to c. 1800), edited by: Nicholas Tarling, Cambridge University Press, 2008, pp. 508-571.

Andaya (Leonard), "Interactions with the Outside World and Adaptation in Southeast Asia Society, 1500-1800", in *The Cambridge History of Southeast Asia*, Vol. 1 (From Early Times to c. 1800), edited by: Nicholas Tarling, Cambridge University Press, 2008, pp. 345-401.

--------, "Malay Peninsula", in *The Encyclopedia of Islam*, Vol. VI, edited by: C. E. Bosworth, Brill, Leiden, 1991, pp. 232-239.

Aziz (Azmi), "The Religious, the Plural, the Secularand the Modern: a brief critical survey on Islam in Malaysia", in *Inter-Asia Cultural Studies*, Vol. 5, N. 3, Routledge, 2004, pp. 341-356.

Barry (M.), « Le sens des découvertes », dans *Revue des deux mondes, (Portugal proue de l'Europe)*, mars 2000.

Barton (Greg), "Islam, Society, Politics and change in Malaysia", in *Islam in Asia, changing political Realities*, Editor by: Jason Isaacson and Colin Rubenstein, New Jersey, 2002, pp. 91-164.

Bonneff (Marcel), "Malaysia", in *Archipel*, Vol. 29, (L'Islam en Indonesie), 1985, pp. 69-73.

Bouchon (Geneviève), "Les musulmans du Kerala à l'époque de la découverte portugaise", in *Etudes et documents sur l'histoire de l'océan Indien et des pays riverains à l'époque de la domination portugaise*, Tome II, Genève, 1973, p. 3-59.

--------, "The Indian Ocean in the fifteenth Century", in *India and the Indian Ocean 1500-1800*, Edited by: Ashin Das Gupta and M. Pearson, Oxford University Press, 1987, pp. 46-70.

--------, "Trade in the Indian Ocean at the dawn of the sixtennth Century", in *Merchants, Companies and Trade (Europe and Asia in the early modern Era)*, edited by: Sushil Chaudhury, Cambridge University Press, 1999, pp. 42-51.

Bourdon (A.), *Histoire du Portugal*, éd. Chandeigne, Paris, 1994.

Bouvat (Lucien), "Essai sur la civilisation timouride", in *Journal asiatique*, No. Avril-Juin 1926, Paris, 1926, pp. 193-299.

Chan (Hok-Lam), "The Chien-wen, Yung-lo, Hung-his and Hsuan-te reigns, 1399-1435", in *The Cambridge History of China*, Vol. 7 (The Ming Dynasty, 1368-1466), Part 1, edited by: Frederick Mote, Cambridge University Press, 2008, pp. 182-304.

Church (Peter), *A Short History of South-East Asia,* Published by John Wiley and sons, Singapore, 2009.

Cons (Henri), *Precis d'histoire du commerce*, Tom. 1, Paris, 1896.

Cordier (Henri), "Relations de l'Europe et de l'Asie avant et apres le voyage de Vasco de Gama", *Extrat des comptes rendus de la societe de geographie N. 4 (1896)*, Paris, 1898.

Cotterell (Arthur), *A History of Southeast Asia*, Marshall Cavendish Editions, Singapore, 2014.

Danvers (Frederick Charles), *The Portuguese in India*, 2 Vol., London, 1894.

De Graaf (H. J.), "South-East Asian Islam to the Eighteenth Century", in *The Cambridge History of Islam*, Vol. 2 A (The Indian Sub-Continent, South-East Asia, Africa, and the Muslim West), edited by: P. M. Holt, Cambridge University Pres, 2008, p. 123-154.

Depping (Georges-Bernard), *Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe*, Tome I, Paris, 1830.

Diffie (Bailey W.), *Foundations of the Portuguese Empire 1415-1580*, Published by the University of Minnestota, Minnestota, 1977.

Disney (A. R.), *A History of Portugal and the Portuguese Empire, from beginning to 1807, Vol. 2 (The Portuguese Empire*), Cambridge University Press, Cambridge, 2009.

Godinho (Vitorino Magalhäes), *L'économie de l'empire portugais aux XV^e^ et XVI^e^ siècles*, Paris, 1969.

Gupta (Arun Das), "The Maritime Trade of Indonesia: 1500-1800", in *India and the Indian Ocean 1500-1800*, Edited by: Ashin Das Gupta and M. Pearson, Oxford University Press, 1987, pp. 240-275.

Hall (D.), *A History of South-East Asia*, The Macmillan Press, London, 1981.

Hooker (Virginia Matheson), *A Short History of Malaysia*, Published by Allen and Unwin, Virginia, 2003.

Ibrahim (Ahmad) and Joned (Ahilemah), *The Malaysian Legal System*, Kuala Lampur, 195.

Kearney (Milo), *The Indian Ocean in World History*, Routledge, London, 2004.

Konstam (Angus), *Les explorateurs et les grandes découvertes*, traduit par Manuel Boghossian (et autres), éd. Solar, Paris, 2001.

Lawrence (B.), "The Eastward Journey of Muslim Kingship: Islam in Southeast Asia" in *The Oxford History of Islam*, Edited by: J. Esposito, Oxford University Press, 1999, pp. 395-431.

Mahn-Lot (Marianne), "Conceptions geographiques et decouverte : La question des Moluques jusau en 1521", in *Archipel*, Vol. 22, 1981, pp. 75-86.

Meri (Josef W.), *Medieval Islamic Civilization*, Vol. 1, Routledge, New Yourk, 2006.

Muhammad (Salma Jan Noor), "Leadership of Malacca Sultanate Rulers in Establishing Diplomatic Relations", in *Malay Literature*, Vol. 30, N. 2, Publisher: Dewan Bahasa, dan Pustaka, 2017, pp. 181-203.

Mujani (Wan Kamal), "The History of the Indian Muslim Community in Malaysia", in *Advances in Natural and Applied Sciences*, 6 (8), 2012, pp. 1348-1353.

Newitti (Malyn), *A History of Portuguese Overseas Expansion, 1400-1668*, Routledge, London, 2005.

Pearson (Michael), "India and the Indian Ocean in the sixteenth Century", in *India and the Indian Ocean 1500-1800*, Edited by: Ashin Das Gupta and M. Pearson, Oxford University Press, 1987, pp. 71-93.

--------, *The Indian Ocean*, Routledge, London, 2003.

Perret (Daniel), "From Slave to King: The Role of South Asian in Maritime Southeast Asia (from the late 13th to the late 17th Century)", in *Archipel*, Vol. 82, Paris, 2011, pp. 159-199.

--------, "La cité royale dans la littérature traditionnelle malaise: représentation et contribution à l'histoire des cités anciennes du monde malais", in *Aséanie*, 3, 1999, pp. 75-89.

Prakash (Om), *The New Cambridge History of India, Vol. 2, (European Commercial Enterprise in Pre-Colonial India)*, Cambridge University Press, 1998.

Ptak (Roderich), "Notes on the Word *Shanhu* and Chinese Coral Imports from Maritime Asia c. 1250-1600", in *Archipel*, Vol. 39, 1990, pp. 65-80.

Reid (Anthony), "Economic and Social Change, c. 1400-1800", in *The Cambridge History of Southeast Asia*, Vol. 1 (From Early Times to c. 1800), edited by: Nicholas Tarling, Cambridge University Press, 2008, pp. 460-507.

Subrahmanyam (Sonjay), *L'empire portugais d'Asie, 1500-1700, une histoire économique et politique*, Paris, 1999.

Taylor (Keith), "The Early Kingdoms", in *The Cambridge History of Southeast Asia*, Vol. 1 (From Early Times to c. 1800), edited by: Nicholas Tarling, Cambridge University Press, 2008, pp. 137-182.

Thiam Soon (Derek Heng), "The Trade in Lakawood Products between South China and the Malay World from the Twelfth to Fifteenth Centuries AD", in *Journal of Southeast Asian Studies*, N. 32 (2), June 2001, Printed in the United Kingdom, pp. 133-149.

Thomaz (Luis Filipe), "La Chronologie historique de Timor oriental", in *Archipel (En Ligne), Etudes interdisciplinaires sur le monde insulindien*, N. 93, Paris, 2017, pp. 199-217.

--------, "La présence iranienne autour de l'Océan indien au XVe siècle d'après les sources portugaises de l'époque", in *Archipel*, Vol. 68, No. 1, 2004, pp. 59-158.

--------, "Les Portugais dans les mers de l'Archipel au XVIe siècle", in *Archipel*, Vol. 18, 1979, pp. 105-125.

--------, "The Indian Merchant Communities in Malacca under the Portuguese Rule", in *Indo-Portuguese History*, Edited by: Teotonio de Souza, Concept Publishing Company, New Delhi, 1985, pp. 56-72.

Tong (Elvan), *Story of Malaca*, Article en Ligne: (http://amsa.com.au/documents/StoryofMalacca.pdf)

Wain (Alexander), "Chinese Muslims and the conversion of Melaka to Islam"**,** Article en Ligne: http://www.ipedr.com/vol51/009-ICHSC2012-B00024.pdf.

Wilkinson (R. J), "The Capture of Malacca, A. D. 1511", in *Journal of the Straits Branch of the Royal Asiatic Society*, N. 61, 1912, pp. 71-76.

Wink (Andre), *Al-Hind, The Making of the Indo-Islamic World*, Vol. III (*Indo-Islamic Society 14th-15th Centuries*), Brill, Leiden, 2004.

Winstedt (R.), "The Malay Founder of Medieval Malacca", in *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, Vol. 12, No. 3/4, 1948, pp. 726-729.

The Islamic Sultanate of Malacca (816 AH-917 AH/1413 AD-1511 AD): A Study In The Foundation, Political And Commercial Conditions

Dr. Ibrahim Mohamed Hamed Soliman

Assistant Professor

Department of Islamic History

Faculty of Dar el-Oloum, University of Minia

Abstract

This study comes to shed light on the city of Malacca, which is considered one of the most important cities in Southeast Asia. Since its establishment - at the beginning of the ninth century AH/ fifteenth century AD - this city has been able to occupy a leading position in the region: in a few years it has managed to extend its influence in the area of the Malay Peninsula, becoming a sultanate to which many cities and islands are subject. In fact, this special position and the great importance that Malacca has received is due to two main factors; The first of them is the conversion of its rulers to Islam, so that Malacca became a bright spot from which Islam moved to many Malay cities and the Indonesian coast of Sumatra. What reinforced this role was the encouragement of these sultans to spread the Islamic religion and culture, and their supervision themselves to accomplish this task. The second factor is the pivotal role played by the city in the regional and international trade movement in the region, due to its control of the Strait of Malacca, which is the main passage for trade linking the countries and cities of the Indian Ocean on the one hand, and the countries of Southeast

Asia and China on the other hand. Therefore, it was not surprising that the city became a meeting place for merchants coming to it from various countries.

This study also revealed the position of Malacca in the Portuguese Crusader project, which aims to destroy the Islamic trade network in the Indian Ocean region, indicating that the fall of Malacca in the hands of these Europeans deprived Muslim merchants of their main commercial base in the region, and that this fall had the greatest impact in eliminating the unity of the archipelago and Malay countries, a role that Malacca has been leading for more than a century.

Keywords: Malacca; sultanate; Islam; Commerce.